الأمثال والحكم في آداب الشعوب والأمم

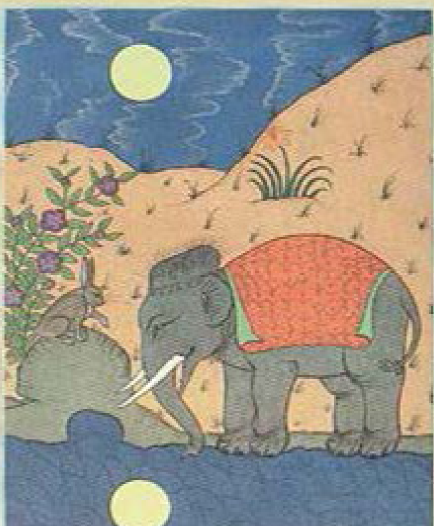
• من الأدب الروسي

عِبَر أبناء الزمان

ايڤان كريلوف

• من الأدب الايطالي

مختارات



تحقيق وتقديم
الدكتور حسن عاصي

دار المواسم

عِبَرُ أبناء الزمان

الأمثال والحِكَم في آداب الشعوب والأمم
٥
● من الأدب الروسي

عِبَر أبناء الزمان

ايڤان كريلوف

ويليه

مختارات
من الأدب الايطالي

تحقيق وتقديم
الدكتور حسن عاصي

دار المواسم

الطبعة الأولى
١٤١٥هـ - ١٩٩٥م

دار المواسم للطباعة والنشر والتوزيع
هاتف: ٠٧/٧٢٠٦١٥ - ٠٣/٢٧٧٨٨٥
ص. ب.: ١٣/٥٨٦٦ - بيروت

مقدمة الناشر

«عِبَرُ أبناء الزمان» من الأدب الروسي لـ «إيفان كريلوف»، ومختارات من الأدب الإيطالي للفنان الذائع الصيت ليوناردو دافنشي، هما الكتاب الخامس في سلسلتنا هذه «الأمثال والحكم في آداب الشعوب والأمم».

في هذا الكتاب، كما في كتبنا الأربعة التي سبقت، نتلمس إنسانية الهمّ وآدمية المعاناة، قديماً وحديثاً، شرقاً وغرباً، والتطلع إلى غاية واحدة: الخلاص والصلاح، وذلك في حسن تدبير، وتبُّصرٍ بالعواقب.

في عِبَرِ كريلوف، التي ترجمها رزق الله حسون ونشرها في لندن تحت عنوان «النفثات» يتجلى تأثر كريلوف بأمثال لافونتين، يضاف إليها عِبَر جديدة في «خرافات» أوردها، ترمي إلى عين ما رمت إليه خرافات لافونتين، وما رمت إليه سائر الحكايا والقصص التي اعتمدت الأسلوب عينه في إظهار الحكمة وإسداء النصيحة والموعظة.

أما حكايا وقصص دافنشي، والذي سبق لافونتين بحوالي قرنين من الزمن، فإنها تَنِمُّ عن سعة أفق ذلك الفنان وغزير خياله، ذلك الأفق والخيال اللذان جعلاه، دون أدنى شك، جديراً بما ناله من شهرة، إن على الصعيد الفني من خلال لوحاته التي ما زالت حتى اليوم (منذ حوالي خمسة قرون) تتجلى أصالة، وتترسخ إبداعاً وابتكاراً أو من خلال قصصه وحكاياه، بنات خياله، الوجه الآخر لإبداعه الفني.

المقـدمـة

عِبَرُ أبناء الزمان أو «النفثات» للكاتب الروسي «إيڤان كريلوف»، مجموعة حكايا على لسان الحيوانات والحشرات والطيور: يحكي فيها النسر والعنكبوت والبلبل والحمار والذبابة، كما ينطق فيها الثعلب والنمس والأسد و... و...؛ وذلك على غرار كليلة ودمنة وأمثال لافونتين، وسائر الآثار التي اعتمدت هذا المنهج، وأنطقت هذه الكائنات لتجري الحكمة على لسانها وتورد العبر في منطقها وبيانها.

تضمنت النفثات واحداً وأربعين حكاية، شملت الحكم والمواعظ والدروس الأخلاقية: فعبر حكاية النسر والعنكبوت أظهرت للصغار الذين يتوهمون أنهم مستنسرون حقيقة واقعهم وزيف تصورهم، وإنهم كالعنكبوت الذي استنسر، متى هبت قواصف النكبة والهرج، ذهبت بالعنكبوت وما نسج.

وحكاية البلبل والحمار، أظهرت لمن يعتبر أن من لا يفهم في أمر ما فمن الجهل إدعاء معرفته، وكذلك في حكاية الدب والحمار والقرد والتيس، وسواها وسواها من الحكايات والقصص، طبعت هذه النفثات في لندن عام ١٨٦٧.

كريلوف المؤلف:

نادرة هي المراجع التي ذكرت كاتب النفثات، وإن ورد ذكره في بعضها فإنما باختصار: كاتب روسي ولد في موسكو عام ١٧٦٩ وتوفي عام ١٨٤٤؛ كتب حكاياته بين عامي ١٨٠٦ و ١٨٤١ حيث بدأت تشتهر. كتب أكثر من ثلاثماية رواية تجلى في أكثرها تأثره بـ«لافونتين» وقد أعطت حكاياته هذه إلى اللغة الروسية معينا زاخراً من الحكم والأمثال الوهمية والواقعية(١).

(١) را: Grand larousse, V 6, Krylov.

رزق الله حسون: المترجم

رزق الله بن نعمة الله بن يوسف حسون الحلبي: صحافي متأدب، أصله من الأرمن. ولد في حلب سنة ١٢٤٠ ـ ١٢٩٧ هـ/ ١٨٢٥ ـ ١٨٨٠ م، وأنشأ في الآستانة جريدة «مرآة الأحوال»، وانتقل إلى لندن فمات فيها.

قال فيه كراتشكوفسكي: كان قوميا عربياً خاف على حياته وهرب من تركيا إلى روسيا فأقام عدة أعوام في بطرسبورغ، حاول في أثنائها أن يحصل على مساعدة القيصر ألكسندر الثاني على إنشاء دولة عربية مستقلة، ولما يئس رحل إلى انكلترة، فتوفي فيها، وقيل: سمّه جاسوس للسلطان التركي.

من آثاره: النفثات كتابنا هذا وقد أهداه إلى عبد القادر الجزائري، أشعر الشعر، نظم به ستة أسفار من التوراة، السيرة السيدية، المشمرات، حسر اللثام[1].

عبد القادر الجزائري المهداة له الترجمة

عبد القادر بن محي الدين بن مصطفى الحسني الجزائري (١٢٢٢ ـ ١٣٠٠هـ/ ١٨٠٧ ـ ١٨٨٣ م)، أمير مجاهد، من العلماء الشعراء البسلاء؛ ولد في القيطنة في الجزائر وتعلم في وهران. حج مع أبيه سنة ١٢٤١، فزار المدينة ودمشق وبغداد؛ ولما دخل الفرنسيس بلاد الجزائر سنة ١٢٤٦ هـ/١٨٤٣ م بايعه الجزائريون وولوه القيام بأمر الجهاد، فنهض بهم وقاتل الفرنسيين خمسة عشر عاماً، ضرب في أثنائها نقوداً سماها «المحمدية»، وأنشأ معامل للأسلحة والأدوات الحربية وملابس الجند. كان في معاركه يتقدم جيشه ببسالة عجيبة،

(١) را: مجلة المقتطف ٣٦/ ٢٢٤.
أدباء حلب ٨.
تاريخ الصحافة العربية ١/ ١٠٥.
أعلام النبلاء ٧/ ٣٩١.
آداب زيدان ٧/ ٣٩١.
آداب شيخو ٢/ ٤٥.

وأخباره مع الفرنسيين في احتلالهم الجزائر كثيرة.

لم تكن نهاية عبد القادر لتليق بسيرته إذ استسلم للفرنسيين عام ١٢٦٣هـ/ ١٨٤٧ م فنفوه إلى طولون ومنها إلى أنبواز حيث أقام أربع سنين ونيف، زاره نابليون الثالث وسرحه مشترطاً أن لا يعود إلى الجزائر ورتب له مبلغاً من المال يأخذه كل عام. زار باريس والآسانة واستقر في دمشق عام ١٢٧١ هـ حيث توفي فيها[١].

من آثاره العلمية: ذكرى العاقل، رسالة في العلوم والأخلاق، ديوان شعر. «المواقف» ٣ آجزاء في التصوف.

---

(١) را: تعريف الخلف ٣٠٨/٢.
اليواقيت الثمينة ٢١٦.
أعيان البيان ١٧١.
روض البشر ١٥٣.

نَفَثَاتُ

عِبَرُ أبنآءِ الزمان نقدُ أحوال السوقةِ والأعيان، قسطاس تعديل النقص والرجحان، وضعها كِريلوفُ شاعر الصقالبه على طريقة بَيْدَبَا الهنديّ سالكاً مذاهبَه، رواية عن أَلْسِنَةِ الطير والبهائِم مناقشة ومصاحبه، تعريضا وتلميحاً إلى ما يود بهزل يُرادُ به الجد، تحامياً عن عتاب واستقالةً من رَدّ، وصوناً للغرض وتنويها وضنًّا بالمحكمة وتنزيها عن العوام وغير أهليها؛ خَرَجْتُ بها من حجاب الأعاجم نفعاً لوجه الله، غيرَ ملتفت إلى زيَّاغ عن القصد تَيَّاه، يصرف مغزاها إلى هواه، على أنني عارف بتفنيد الكلام كُنْهَا وتأويل ذي عَنَتٍ ما تَشَابَه منها، وتكلم مسألة مبحوثة بالأمس عنها.

ذَيَّلْتُها ببعض أيام الشده، ممتطيا غارب الاغتراب في النكبة الممتدة، إغراءً بالشكر على السراءِ والضرّاءِ والحمد لله وحده.

أهديتها إلى ذي الهمة العلياء، المتباهي بالشيم العربية الشمَاء، العربي محتدا والجزائري مولدا، السيد الأمير مولاي عبد القادر محيي الدين، تولاه الله يكلأه عوضَ العآئضين.

نسر وعنكبوت

ونسرٍ قوقاسٌ له المأوَى. حوَّق في الجوِّ فوق الغمامة تعلّى. من قُنّةٍ إلى قنةٍ يرقى. فَتَوَقَّل ثَمَّ السدرة الكبرى. فظلَّ يتنزهُ تترى. بمرأى الرياض والذرى. ومستطيل مدى. كأنه يرمي بالبصر الدنيا. والماءُ يرفضُ فضةً ينابيعَ وجدئِلَ جرى. والغابُ والقاعُ والربى. تدثّر من الربيع كِسا. والخزرُ[1] كالغرابِ الأسحمِ من الشمس وهّاجا. يزبد فيرغو خرزاً أبيضَ وأزرقَ ويلتبط أمواجا. تارةً يربو جبالاً وطوراً يغورُ فجاجا. قال سبحانك ربي الأعلى. ما أشدّني بأساً وقوى. فضّلتني على سائر طير السما. وما من ذروة لم يكلبها مخلبي رَقْياً، وهأنذا انظر من فوقُ إلى الثرى. منزلةً ما إخالُ سوايَ تبوّأ منتصفها قُصوى.

أجابه عنكبوت بالقرب منه قَطِين. تعاليتَ يا صاح في عليين. وما أنا دونك في الهابطين.

فالتفت النسرُ إذا فضاءٌ عن الغزالة مسدود. ونسجٌ على قدود الأغصان ممدود. وعَنْطل[2] يسكنه العنكبوتُ مشهود. فيرمي بسهم من القول حديد. فقال أنّي ارتقيت إلى ههنا صُعُدا. وما لكل نسر مستطاعاً هذا المدى. ولستَ بذي جناحٍ أو عزم أبداً. ولقد أعيى على الزاحف مُطّلبا فكان ما يبغيه سدى. كَلاً ما كان لي بالزحف يدان. بل تعلقت بزِمكّاكَ متوصّلاً إلى هذا المكان. ولكني بدونك أستقلّ ههنا ممر الزمان. فاقبض عن التبجح لديَّ اللسان. واعلم أني أنا . . .

وما أتم عن مبتدئِهِ البيان؛ إلاّ وقد عصفت ريحٌ زعرعٌ نفضت الأغصان. جلدت بالعنكبوت الأرض فحطته في الحضيض أسرعَ من الطيران. لقد أبانت ليَ العِبرُ ولست بما تزعمون خبير. كم من قوم لصقوا بذنبِ رجل كبير. فكان

(١) الخزز: ابن الأرنب.

(٢) عنطل: بيت العنكبوت.

ارتقاؤُهم المعالي غيرَ عسير. لا جهدَ لهم ولا نُهى ولا تدبير. وعلى حكم القدر المصير. يستعظمون ويستكبرون. ويحسبون أنهم مستنسرون. لكن متى هبَّت قواصف النكبة والهرج. ذهبت بالعنكبوت وما نسج.

بُلبُلٌ وَحِمَارٌ

من حِمىً بين الروابي لِحمى بلبلٌ حوّق وقتَ الغلسِ
عاينَ الدوحَ فوافى عَلَمَا كاسياً من عشبهِ بالسندسِ

بات في ذيّالك الغابِ حمار
يرتعي ما بينَ قُطعانِ النَعَمْ
أبصر البلبلَ وسط الدّوحِ مَاز
قال قِفْ تَسْمَعْ كلامي المُفْتَهَمْ
لك عندَ الناس صيتٌ واعتباز
لرخيمِ الصوتِ بل حلوِ النَغَمْ

أَصحيحٌ أم كذوبٌ وَهَمَا وأذاعَ الإفكَ جهلُ الأُنُسِ
ولقد وَجَّهتُ ذاتي حَكَما لأري تُحْسِنُ مغنّى أمْ تُسِي

نحنُ أهلَ الفنِ أصحابُ إطلاغ
نعرفُ الأجودَ فيهِ والردِي
إنما أحكم من بعدِ السماغ
لِتَعي أذني وهذا مقصدِي
ما أبَى البلبلُ أو أبدى امتناغ
لامتحانٍ عند ذا المنتقدِ

معرضاً كُنهَ الذي قد عَلِمَا لحمارٍ في الطلولِ الدُّرُّس(١)

---

(١) الدُّرس: جمع درس، البالي: والطلول الدرس: المعالم البالية.

خارَ للنغمةِ لمّا هينَمَا   كلُّ ما أبدعَ فوقَ الأطلَسِ(١)
رَدَّدَ الألحانَ يشدُو طَرَبَا
صادحٌ يصفرُ بالصوتِ الشَّجِي
بينَ رفعٍ ثم خفضٍ عَجَبَا
مستبيحاً للنُّهى والمُهَجِ
طلعَ الفجرُ عَلَيْهِ من خِبَا
مصعداً أنفاسَه عن وَهَجِ
وقفت للصوتِ في أوْجِ السما   بتباريها الصَّبا كالمُبْلِسِ
وقعَ الطيرُ على الدوحِ وما   من حِراكٍ فيه غيرُ النَفَسِ
نبَّهت أعيُنَهَا كلُّ الزهوز
عن جفونٍ عانقت طيفَ الكَرَى
شخصت باهتةً مثلَ الطيوز
غَنَمُ الراعي وآسادُ الشَّرَى
إنَّ للألحانِ تأثيرَ السروزْ
مبدياً في كل نفس أثَرَا
وترى فوقَ الكلأِ البُهْما   بسكونٍ وسكوتِ الأخرسِ
رتعت تصغي لصوتِ رَيثما   غَرَّد الشادي شقيقُ الأنفسِ
وَتَنثنى الراعي به مفتتَنا
مستطاراً عقلهُ منبهتا
ما أهاجَ الوجدُ منه شجنا

---

(١) الأطلس: الأسود ويقصد به هنا الغبراء أي الأرض والكون.

فلأنشاه رنا ملتفتا
مشغفَ القلبِ بترجيع الغنا
وإذا بلبلُنا قد سكتا
كان في الدمنةِ[1] أعنى الأَبهما المحلَّى عنقُه بالجرسِ
مطرقا أذناه في الأرضِ هما ينبشان ذفراً[2] للمعطسِ
قال آها لستُ أدري ما أجيبْ
ما على مغناك عتبٌ أو ملامْ
جاز أن نسمعَ ما فيه النصيبْ
برهة ما كاد يعرونا السأمْ
لو أخذتَ الدرسَ عن ذاك النجيبْ
ديكَنا استوفيت فنًّا بالتمامْ
أمْ غِبٌّ الفصلِ شادى الندما عالمَ الأبرار روضَ القدسِ
ربَّنا من حكم مَن لن يفهما نَجِّنا فضلاً ومِنْ بغيِ المُسي

---

(١) الدمنة: المكان الذي يربط فيه الحيوان.
(٢) ذفر: رائحة كريهة.

٣

شركة الأربعة المتفقة

بهائِمٌ اتّفقت في الغابِ أربعةٌ   على صفا ليلةٍ للقصفِ واللعبِ
دبٌ حِمارٌ وقردٌ راحَ يتبعُها   تيسٌ تلبّد عُثنوناً على الرُكَبِ[١]
ولستُ أعلم أنّى استحصلوا لهمُ   كلَّ الأدواتِ للألحانِ والرُغُبِ
حتى الكتابُ الكبيرُ الموسقيُّ لكي   يخوضوا في فنّه استكشافَ مُدّرِبِ
وتحتَ صفصافةٍ في روضةٍ قعدوا   إلى فكاهتهم صفًّا على الرُتَبِ
قالوا لِنَعْزِفْ ونجعلْ ليلَنا طرباً   تلهو به كرةُ الدنيا معَ الشُهُبِ
فالطبلُ يقرعُ والمزمارُ يُنفخُ مَعْ   عُودٍ ونقّارةٍ طنّانةِ الطُبَبِ[٢]
والكل مجتهد إعمالَ آلتهِ   واخلولقت تُحطم الآلاتُ بالدَّبَبِ
أما الصفاءُ فلم تحصلْ مَسَرَّتُهُ   فزيَّط القردُ في الباقين بالغَضَبِ[٣]
ما دام لسنا قُعودا في مجالسنا   كالمقتضى نُغُمُ الألحانِ لم تطبِ
أيا أخي الدب هاتِ الطبلَ وانخرطنْ   في سِلكِ مزمارِنا واقعدْ على جَنَبِ
وموضعي واجب في رأس مجلسكم   للدقِّ إنَّ الصفا بأتي بلا رِيبِ
بذا نرى الدوحَ في سهلٍ وفي جبَلٍ   يميل من رنّةِ الأوتار كالقَصَبِ
وهكذا جلسوا لكنهم وَهُمُ   أيضا لقد فهموا مستَسأم النُوَبِ
هَيَا إذا نهقَ الأتانُ يُسْكِتُهُمْ   ويدعى قد أحاط العلم بالسببِ[٤]

---

(١) العثنون: شعيرات طوال تحت حنك البعير.
(٢) الطُبَب: جمع طبة، وهي القطعة التي توضع على النقارة.
(٣) زيط: صرخ.
(٤) الأتان: أنثى الحمار.

لِنأخذنَّ جميعاً صفُّ مَقْعَدِنَا بالأكبريةِ خطُّ المستوي العَلَبِ[1]
أيضا قد امتثلوا رَأْيَ الحمار ولم يكن سوى قلقٍ في الليل للكربِ
حينئذٍ هالتِ الأصواتُ بينَهمُ على قُعُودِ لحظُ النفسِ مُجتلبِ
ينعون مركزَهم في دستِ مجلسهم لاختلافاتِ أهواءِ من الأرَبِ
وبلبلٌ كان وَسْطَ الدّوحِ أرقَّه زياطُهم فدنا للحالِ عن كَثَبِ
مُسْتَشْرِفاً علّةَ الضوضاءِ منشأهَا رأوهُ قالوا أتيتَ الأهلَ بالرَّحَبِ
وجعجعوا بعجاجٍ جملةً هتفوا يا صادح الكونِ أعْيَيْنَا من التعبِ
وهنا عندنا الآلاتُ أجمعُها وكلما احتيجَ والطومارُ للطَّلَبِ[2]
وليس نُعْوِزُ إلاّ أن تعرّفَنا وجهَ القعُودِ لدَقِّ مُطرِبٍ عَجَبِ
فما تظنونهُ إذ ذاك قد سمعوا مستحسنا من جوابِ مسكتٍ عَذبِ
إنَّ المغنين أهلَ الفن يلزمُهم رقيقُ أذنٍ دقيقُ العقلِ للأدبِ
أنّى شَتهيتم فكونوا الجالسين فما على يَديكم تَأَتّت نغمةُ الطَّرَبِ

---

(١) العلب: المكان الغليظ الشديد، ويقصد به هنا المكان المقدم.

(٢) الطومار: الصحيفة أي اللائحة.

ذُبابةٌ ونَحلةٌ

يومَ تجتلاهُ الربيعُ وَعتبقتْ نُوّارُهُ بالرياضِ باهرُهَا
والبانُ تُرقِصهُ الصَّبا مرحاً والطيرُ كاسيةٌ منابرُهَا(١)
والدَّوحُ أزرارُهَا مُفكَّكةٌ أكمامُها فائرٌ أزاهرُهَا
والنحلُ حَوْلَ اليعسوبِ جَنلةٌ كالفرسِ غَيْرةٌ أساوِرهَا(٢)
ذُبابةٌ قعدَت على فَنَنٍ تَعَجَّبُ من نَحلةٍ تُجاوِرهَا
قالت أنَحلَةُ ما معيشتُكم أوّلُهَا متعبٌ وآخرُهَا
مُرّ الدقايقِ تجهدينَ ولو إيّاكِ كنتُ لما أصابِرُهَا
ولو تَجَمَّلْتُ قدرَ يومِكِ لا أشكُّ في هُلكةٍ أحاذرُهَا
أليسَ بي عِبرةٌ وأحسبُني في جنّةٍ طافحٍ بشائرُهَا
وشغليَ البحثُ والتطلبُ عن دارٍ بها مَوسِمٌ أُبادرُهَا
لا بُدّ ألفَى الذبابَ قاعدةً على أسرّتِها أُسامِرُهَا
في بلدتي هذهِ أدورُ على القصورِ يَعرفني أكابرُهَا
لا فخرَ والوزراءُ كُلُّهُمُ والغانياتُ وقد أعاشِرُهَا
اقبِّل الجيدَ والجبينَ وفي المباحِ من لَثمِهِ أكابرُهَا
كأنني شامةُ الخدودِ وكم جمّشتُ تُفّاحها اغافرُهَا
وللضيافاتِ والولائمِ أنْ أسعَى فخلفِي مشى جماهرُهَا
مطاعمي آنيتُها الخزفُ الصينيُّ مثمنُها وفاخرُهَا

---

(١) الصبا: ريح الشمال.

(٢) اليعسوب: ذكر النحل.

ولُقمتي ما اشتهيتُها لِفَمِي   قُبالتي لا عِنًى ولا كُرُها
أرتَشِفُ الخمرَ من زُجاجتِها   والقومُ من فُضلَتِي تُباشرُهَا
هَلاً وإيَّايَ تذهبينَ تَرَيْ   معيشةً بالهنَا أُخامِرُهَا

* * *

ردت جواباً بلَى وبلَّغنا   أخبارَكُنَّ الرواةُ خابرَها
بئسَ الهوامُ الذبابُ يبغضُها   في الأرضِ بادي الملا وحاضرُهَا
وليسَ في مدحِكنَّ ما قيلَ بلْ   في ذمِكنَّ الأمثالُ سائِرُهَا
إذا أَتَيتُنَّ دارةً رَفَعت   لا للسلامِ يَداً معاشرُهَا
يهزُّ إخراجَكُنَّ مِروَحَةً   للوقت كُبَّارُها أصاغِرُهَا
فَتُطْرَدُنَّ عن البيوتِ وفي   وجوهِكِنَّ تَطوتْ معابرُهَا

* * *

فاستضحكت تلكمُ الذبابةُ من   كلامِ نحلتنا تقامرُهَا
قالت فما بالُنا وذمُّهمُ   أو بغضةً تُتَّقَى نهابِرُهَا[1]
الطردُ لا تعبَأُ الذبابُ به   تعودُ في كَرَّةٍ تظافرُهَا
أيتها النحلةُ افهمي كَلِمِي   بالغمزِ عمَّن يُشارُ ظاهرُهَا

---

(١) نهابرها: مهالكها.

مُوسى

رحتُ مع صاحبٍ على الدرب سيراً ... قَصْدَ إحدى البلادِ في سَفَراتِي
ونـزلـنـا مـعـاً مـكـانـاً وبُـتـنَـا ... طـولَ لـيـلـتِـنـا عـلـى هـاكِ هـاتِ
نـتـنـازع أكـؤسَ الـراح صَـرْفـاً ... وحـديـثـا يـسـتـودقُ الـغـانـيـاتِ[1]
ثـم عَـنَّ الـكـرى فَـنِـمْـنَـا إلـى أن ... أذَّنـتـنـا الـديـوكُ بـالـغـدواتِ[2]
فـالـتـفـتُّ إلـى رفـيـقـي إذا فـي ... حـالـةٍ لا أريـدهـا لـعِـداتـي[3]
ضـاق صـدراً بـحـسـرةٍ أدركـتـه ... يـتـنـهـدُ مُـصَـعِّـدَ الـزفـراتِ
فيمَ خطبكَ؟ قال يا صاحِ دَعْني ... والـحـلاقـةَ وهـي مـن عـاداتـي
قلت ما دمت تحلق الشعر نعمًى ... لـيـس داءٌ ولـسـت فـي سَـكَـراتِ
وانـتـصـبـتُ أرى وقـد أدهـشـتـنـي ... حـيـرةٌ لـغـرائـب الـحـالاتِ
ورفـيـقـي مُـغَـرْوَرَقٌ مـقـلـتـاهُ ... بـالـدمـوعِ مـسـتـقـبـل الـمـرآةِ
مُـعـمِـلٌ كـشـطَ سـحـنـةٍ لـو تـراهـا ... خـلـتَ قـرداً مُـقَـشَّـرَ الـوجـنـاتِ
قـلـتُ لـمـا سـبـرتُ غـو ... بلاهُ غير نفسك لا تَلُمْ بحياتي
وعـلامَ الـضـجـيـجُ مـا بِـتَّ أصـلاً ... لـعـذابٍ عـلـيـك مـن فَـتَـراتِ
لـيـس هـذا مـوسـى ومـا كـاد بـالـمـنـشـارِ خَـلْـقُ الـذقـون مـمـا يـواتـي
قـال تـزعـم أنـنـي لـسـت أدري ... كـم بـمـوسـايَ هـذه ثـلـمـاتِ
بـيـدَ أنـي اخـتـشـيـت أكـثـر قَـرْبَـاً ... لأديـمـي مـع حـلـقـه شـعـراتـي

---

(١) الراح: الخمر؛ يستودق: يستحيل.
(٢) الغدوات: أوقات الصباح.
(٣) عداتي: أعدائي.

كلُّ من كان عالما كُنه رأيي   مدركٌ ما المراد من كلماتي
إنَّ حدَّ المثلوم أوفرُ قطعاً   والمواضِي من أجودِ الحَالِقاتِ
هكذا ولئن تأبّى كثيرٌ   إن يقروا من الحياء بهاتي
يختشون استخدامَ صاحبِ عقلٍ   ويُوَلُّون معشرَ الغَفَلاتِ

بُومٌ ودِيكٌ

يا طيِّبَ النغمةِ الموصولةِ المَدَدِ وعاليَ الصيحةِ السُّلكَى بلا جَعَدِ
ما كان أحلاكَ صوتاً مطرباً عذباً لأنتَ حقًّا نذيرُ الصبح في البلدِ
لافُضَّ فوكَ لقد شَنَّفْتَ مسمعنا يثنى على الديكِ بومُ المَهْمَهِ الجَرَدِ(١)
وأنت صوتك ما أشجى. ترددَهُ يا بومُ يُسلي فراقَ الأمِ للولَدِ
وليس في غابنا صوتٌ يقاس به وما أحاشي من الأقوامِ من أحدِ
لا أختشي مللاً لو بتُّ منتصتا إليك مائةَ عامٍ كاملِ العددِ
يا ديكُ مغناك لا أبغي به بدلا الأُذْنُ تعشقُ قبلَ العينِ في الرمدِ
إذا سكتَّ صُماخي ظلَّ منتفخا مستلقحا رجعةً من أغربِ النُّشُدِ
ما كان أعلاكَ صوتاً بالغاً أمداً إلى عنانِ السَّمَاأو أبعدِ الأمدِ
من الغلاصِم موزونُ النقيقِ جرى أنكى من النبلِ رجمَ الهمِّ والنكدِ(٢)
أجلُّهُ عن نديدٍ أو يشابِهَهُ صريرُ بابٍ صريفَ القعوِ بالمَسَدِ(٣)
من أين تُخرِجَ هذا الصوت مرتفعا بالله قُلْ لي ولا تُنقِصْ ولا تَزِدِ
وليس هذا عجيبٌ أنتم شَرَعٌ وكل ديك فصيحٌ منطقا وقَدِي
أجسامُكم لم تكن نحفاً مضمَّرةً ولا ملحَّمةً بالرَّبْوِ والغُدَدِ
لكنَّ أصواتَكم صحَّت عذوبتها في الكون تزري بصدح البلبل الغَرِدِ
أَنعم صباحاً أخي البوم الشفيق وكنْ من كل ضيمٍ سليمَ النفس والجسدِ

---

(١) المهمة: البرية والقفر.

(٢) الغلاصم: جمع غلصمة وهو رأس الحلقوم، الموضع الناتىء في الحلق.

(٣) العقو: صوت الغراب، والمسد: حبل الليف، والمقصود هنا صوت الحبل عندما يحف بالباب.

لَأنْتَ صوتُك أحلى نغمةً وصدىً		من صوتِ ديكٍ شَدا في جنَّةِ الخلدِ
مَنْ شئتَ سَلْ عن كلامي إنني ثقةٌ		بصدقِ قولي شهيدٌ كلُّ معتمَدِ

* * *

إذا وقد مرَّ عصفورٌ يحوّق في		أوجٍ وحطَّ استراقَ السمعِ واللَّدَدِ
أجاب إفحامَ مهذارينِ ما ارعويا		تهكماً بغرورٍ رَدٌّ مُنتقدِ
يا صاحبيَّ حذارِ تبعجانِ سُدى		بسردِ مدحيكما الحلقومَ من ضَمَدِ
ما صوتُ بومٍ رخيماً بات ينغب أو		ديكٌ قعى قُوْقُوْ بل للكربِ والكمدِ
البوم يثنى رياءً ليس يأخذه		تحرُّج بمديحِ الديكِ في الرّشَدِ
كذا على البوم يثني الديك معتسفا		عن الطريق ولا يمشي على الجَدَدِ(١)

(١) الجدد: الأرض الغليظة الصلبة أو المنحدرة.

ثريدٌ

عمركَ الله يا ابن عمّي تفضّلْ وهلمَّ إلى طعام الثريدِ
إنّ روحي للأكل حتى التراقي بَلَغَتْ لستُ منه بالمستزيدِ
ليس بَأسٌ واستَطْعِمِ الصحنَ هذا لذةً وفكاهةَ المستعيدِ
بنتَ عمّي قد التَهمتُ ثلاثا مُلىءَ الحوضُ وقَدِي لا تُزيدِي
بل على قدر ما استطعتَ وخلْ عنك ذكر التكرار والتعديدِ
طالما تشتهي هنيئاً مريئاً إن هذا الثريد مأكلُ عيدِ
ما ترى الدسمَ المطيفَ عليه كفرائدِ كهرباءٍ نضيدِ
يا آبن عمّي عليك صحناً تقدّم كلَّ حين ما هذا بالموجُودِ
هذه ثومةٌ لنقلٍ وهضمٍ ثم أَتبعها قطعةً من قديدِ[1]
وبحقي عليك تُلحق أخرى من يدي لقمةً لحظي السعيد
ما يليها من بعد فيه شفاءٌ وبقدر الودادِ أكلُ الوَدُودِ
نَعِمَتْ ربةُ التفضُّل زاداً ويدُ الطابخ الخبير المجيدِ
وعلى ما بسطت من شرح حالٍ كان أمرُ الورهاءِ في التشديدِ[2]
ما يطيق ابن عمّها المضغَ إلاّ هيأت بَلْغَةً له من جديدِ
لم تَقُلْ كلمتين إلا وإحدى تيكما أكل ضرباً من التهديدِ
بات يلقى البحرانَ كالجَودِ لكن من ودادٍ أوفَى وفائضِ جُودِ
عالما أنه سَيَأكُلُ صَحْنَاً كارهاً والإباءُ غير المفيدِ

---

(١) القديد: اللحم المجفف.
(٢) الورهاء: الخرقاء والحمقاء.

وتحمّى بنهمةٍ لإكالٍ جامعا للقُوى بجهدٍ جهيدِ
مَسَحَ الصحنَ سُؤرَهُ ما تبقّى لعقةٌ أو مُضاغةٌ لمريدِ
هتفت يا ابنَ عمٍّ تفديك نفسي بأبي أنت من فتى صنديدِ
إنني هكذا أحبُّ صديقي وأتيح الأكرامَ فوق المزيدِ
لستُ أرضى الأنوفَ من كان مُغرى كَلِفَاً بلطائفِ التقليدِ
من تداعى ظرافةً فلِعَيْنى مثل حَيني البغيض غير الحميدِ
يا بْنَ عمي وهاكَ صحناً وهذا لك خبأتُ عن أخي ووحيدِي
غيرَ أنّ المسكينَ إذ سمع التكرارَ فاعْتَدَهُ كنارِ الوعيدِ
فتقلنس حاملاً لرداهُ راكضاً هارباً لبيتٍ بعيدِ
لم يعاودْ زيارةً بعد هذا طالما عاش في الزمان العتيدِ
أيها المعتني بتأليفِ كُتْبٍ وإليك الحديثُ بالتقييدِ
إنّ جهلَ السكون إبّانَ صمتٍ مللُ السامعين رأيُ العنيدِ
وكثيرُ الكلامِ نظماً ونثراً كشريدِ الوَرهاءِ في التنكيدِ

حيّة

من بناتِ الرقشِ جاءت حيةٌ رجلاً يسكن والأهلين حَيّ[1]
تترجاهُ مقاما عنده بذلَ مجهودٍ ولا مَنّاً سُدَيّ
تبتغي من عرقِ الجبهة أنْ تأكلَ الخبزَ ولا ترضى الكُدَيّ[2]
ثم قالت أيها الخِلُّ الذي حبُّه في مهجتي حُبّي بُنَيّ
إنني عارفةٌ ما ذاع من صيت سوءٍ بينكم عن كلِ حَيّ
حيّةٌ إن قيل هذي قلتمُ شرُّ خلق اللهِ من فوقِ الثُرَيّ
خِلْتمُونا كافراتٍ ما بنا رأفة أو حبُّ نسلٍ في حُشَيّ
آه ما أظلمَ بغياً معشري قيلَ ما قد قيل من حيٍّ وليّ
ما اعتذاري ما أنا مِنهنَّ لن أتعدى طولَ عمري لَسْبَ حَيّ[3]
كِدتُ أن أقلَعَ أنيابيَ لو يتأتّى كان عيشي بعدَ ذيّ
لا أطيلُ الشرحَ هذا ذنبي لصلاحي شاهدٌ من شاهديّ
فافتكِرْ كيفَ اهتمامي بالحري في مداراةِ عيالٍ أو صُبَيّ
قال أختاهُ هَبِي صِدْقَكِ في كلُّ ما خَبَّرتِني ما شيبَ غيّ
ولئن يرضى عيالي فيك ما ساغ أن أقبلَ مثواكِ لديّ
حَيّةٌ صالحة جرّارة مائةَ طالحةَ تأبى الرُقَيّ
فإذا عمّا قليلٍ تنطفي سُرُجُ أطفالي المساكينِ عَلَيّ

---

(١) بنات الرقش: حية منقطة بالسواد والبياض.
(٢) الكدي: النبات إذا أصابه البرد فلبّده.
(٣) لسب: لدغ.

ليس لي صبرٌ وإياكِ وهل   بصلٌ أو حنظلٌ يغدو حُلَيّ
قبلَ آوي الصّلِ يَلْقَى حَتْفَهُ   أَفَهِمْتُمْ آل وُدّي أيّ شَيّ[1]

(١) الصل: من الحشرات الزاحفة وهنا: الحية.

صُلْ ونمّامْ

قولٌ جرَى على لسانِ الخلقِ إبليسُ ملعونٌ عدوُّ الحقّْ
لم يَتَفَوَّهْ بكلامِ الصدقِ فيما عليها يجبُ الإقرارْ
لكنني أقول بالتأكيدِ
ما كلُّ وقت شيمةُ العنيدِ
يهضمُ حقاً واجبَ التأييدِ
وإن يكن من طبعهِ الإضرارْ
فربما قد تحكم الأبالسَهْ بالعدلِ حُكْماً صادقَ المقايَسَهْ
ما شابَهُ جورٌ ولا منافَسهْ يرضى به الخصمُ ولا إصرارْ
ولي على ما أدّعيه حُجَّهْ
ناطقةٌ مشروعةُ المحَجَّهْ
جديدةٌ حديثُها مُوَجَّهْ
للانتصافِ وبهِ اعتبَارْ
في يومِ موسمِ الجحيمِ المظنونْ ميلادُ يَهوذا به أو نيرونْ[١]
وقال بعضُ الناسِ بل نابليونْ واختلفت في عينهِ الأخبارْ[٢]
ما كان في تعيينهِ المرادُ
ولا على حُسبانهِ اعتمادُ
مواسمُ الزينة والأعيادْ

(١) نيرون: أحرق روما.
(٢) نابليون: القائد الفرنسي الشهير.

عـنـدَ الـشـيـاطـيـن لـهـا طُـومـارُ[1]

قَـرأْتُـهـا فـي مـصـحـفٍ لـكـنـي   نـسـيـتـهُ ولـم يَـعُـدْ لـذهـنـي
والآنَ لـي عـن درسـهِ مـا يُغـنـي   إذ لـيـس يـدعـونـي لـهُ اضـطـرارُ

فـإنـهـا مـواسـمُ لـلـمـارجِ[2]
وحـزبـهِ مـن داخـلٍ وخـارجِ
مـسـتـقـبـلٍ فـيـهـا لـكـلِّ
يـجـيـئـه الـضـيـفـانُ والـزُوَّارُ

* * *

فـجـآءَ نَـمَّـامٌ وصُـلٌّ لـلـرجـيـمْ   ودَنَـيـا مـعـاً إلـى بـابِ الـجـحـيـمْ
كِـلاهـمـا تـنـازعـا فـي الـتَّـقـديـمْ   لـنـفـسـهِ فـوقـعَ الـشُّـجَـارُ

وعـادةُ الـجـحـيـم أنَّ الأكـبـرَا
أذىً وإضـراراً وكـيـداً لـلـوَرَى
أعـظَـمُ جـاهـاً وأجَـلُّ خَـطـرًا
مُـصَـدَّرٌ رسـمـاً لَـهُ الـفِـخَـارُ

* * *

وحَـمِـيَ الـوطـيـسُ مـا بـيـنـهـمَـا   إذ طـلـبَ الـتـقـديـمَ كـلٌّ مـنـهـمَـا
مـرتـبـةً وشَـرَفـاً ضُـرُّهُـمـا   أفـجـعُ مـا طـارت بـهِ الأخـبـارُ

فـغـفـرَ الـنـمـامُ فـاهُ ودَلَـقْ
لـسـانَـهُ وقـالَ هـذا لأَحَـقّ
ونـفـثَ الـصُّـلُّ بِـسُـمٍّ مُـذْرِقْ[3]
يـلـمـعُ مـنـه الـمـوتُ والـبـوارُ[4]

---

(١) طومار: الصحيفة.
(٢) المارج: اللهب المختلط بسواد النار
(٣) مذرق: قاتل.
(٤) البوار: الفناء.

وأحجمَ النمامُ والضُلُّ مضى قُدامَهُ كادَ يصيبُ الغرضَا
فقامَ إبليسُ له معترِضَا في البابِ لم يبقَ لهُ صْطِبَارُ
لِخصلةِ النمامِ جَاء مستنصِرًا
وقال لِلضُلْ تأخّرْ للوَرَى
أنتَ الشجاعُ غيرَ أنَّ الأحرىَ
ذا لم يَسغْ لحقِّهِ إنكارُ

* * *

شرُّك يدريه الخواصُ والعوامْ وسُمُّكَ الناقعُ للموتِ الزُؤَامْ
تذيقُ مَنْ تقربُه كأْسَ الحِمَامْ كم هلكت بسمِّك الأبرارُ
لكنْ مَنْ بالبعدِ عنكَ يخطُو
ما اسْطَعْتَ كالنَّمَّامِ فيه تسطُو
ذاكَ الذي لم يَنْجُ منه قُطُّ
إذا وَشَى العبيدُ والأحرارُ

* * *

فلا تحولُ عن أذاهُ الحِيَلُ أو لُجَّةٌ أو قلعةٌ أو جبلُ
أعظمُ شرّاً منك هَلاً تعقلُ كمْ من جنودِي خلفَهُ قد سارُوا
مُذْ ذلك اليوم كما قد اشتَهَرْ
أنْ كلُّ نمّامٍ على بني البشَرْ
مُخصّصٌ له المقرّ في سقَرْ[1]
يقعدُ فوقَ الضُلِ ذَا القَرَار

---

(١) سقر: جهنم.

١٠

خابيةٌ

حدّثنا سُمّارُ جِلّقَ عن — محترف أعوزَهُ خابيَة[1]
فاستعطفَ الجارةَ بالرفقِ في — إجابةٍ للحاجةِ القاضِيَة
وبيّنَ الأيامَ معدودةً — ثلاثةً في متعةِ العارِيَة
والقرضُ بيْنَ الصحبِ من بعضهم — للبعضِ أمسى عادةً جاريَة
وَستثنِ قرضَ البيضِ والصُفرِ إذ — هاتيكُمُ مسألَةٌ ثانيَة
وينفر الأحبابُ من لفظ لا — أو قول ما عندي وما راضيَة
والمبتغي خابيةً رَدُّهُ — عارٌ على ذِي همة عاليَة
مضت وعادت بالسلامةِ في — الميعاد من أيامها التاليَة
وما بذا بأسٌ ولكنَّ ذا — الانسانَ في خمّارةِ الجابيَة
بدعسةِ الوطأةِ مذ كبسَ — الخمرةَ في الخابيةِ الخاليَة
تشرَّبتْ في قلبها رشحةً — كالزيتِ للفخارةِ الحاميَة
إنْ مُلِئتْ مَآءَ وإن غيرهُ — فنكهةُ الخمرِ به باديَة
فاحتارتِ الزلفآءُ في أمرِهَا — وعالجتها سنةً وافيَة[2]
بالغسلِ والتبخيرِ والدَّلكِ با — لصابونِ والبيلونِ والغاليَة[3]
سائِبةً مكشوفةً والهوى — في بطنها يلعبُ كالهاويَة
وكلُّ هذا لم يكنْ شافياً — لدائِها من عِلَّةٍ طاريَة

(١) جلق: دمشق
(٢) الزلفاء: القريبة والمقرّبه
(٣) البيلون: يستعمل للتنظيف

نـهـايـة الأمـــرِ رأت تـركـهَـا   أنـفـعَ لـلـمـنجَى من الـدَّاهِـيَـهْ
يـا أيـهـا الـنـاسُ افـهـموا عـبـرةً   نـاهـيـةً فـي خـطـبِـكُـم كـافِـيَـهْ
مـن طـبَّـعَ الأطـفـالَ سـوْاً عـلـى   شـرّ الأذى أو سـيِّـئـةٍ عـاتـيَـهْ
فـهـم يـشـبُّـونَ عـلـى مـا رَتـبـوا   غـريـزةً فـي طـبـعِـهـم بـاقـيَـهْ

خنزير

إلى دارِ ذي جُودٍ غنيٍّ ببلدةٍ   رووا كان خنزيرٌ يروح ويغتدي
ولكنَّ ذا الحيوانَ بالطبع هَمُّهُ   إلى الفرثِ يطوي فدفدا بعد فدفدِ[1]
أصابَ لدى الاصطبلِ ما كان يبتغي   فَبَوَّأَ منه نَفْسَهُ كُلَّ مقعدِ
وعاد إلى راعيه في الليل آوِياً   لمربضهِ في وقته المتعوَّدِ
فساءَلَهُ راعيه ماذا رأيتَه   بدارِ غنيٍّ أو بصرحٍ مُمَرَّدِ
فجاوبه الخنزيرُ هيهاتِ زعمُ من   يظن مغاني ذي الثرى المتبلِّدِ
جواهرَ ملأى أو نضاراً وفضَّةً   ومن دُررٍ مشحونةٍ وزبرجدِ
وأُفٍّ وتُفٍّ ثم أغربَ نخرةً   وأتبعها سخراً شخيراً من الدَّدِ[2]
أنا لم أجد إلاَّ الحمأةَ جمَّةً   ومن كُلِّ فرثٍ أو رجيعٍ مُلبَّدِ
وأنَّى تلفتُ السراقينُ كالرُّبى   تجلُّ على إحصاءِ حصرِ المعدِّدِ
وكم نَعِمَتْ منها الفناطسُ مربعاً   ويا حبَّذا فيها مراغي ومسعدي[3]
وقلَّبتُ عاليها الأسفلَ لن أرى   كما وهموهُ من ثراءِ المُسَوَّدِ
ألا ومعاذَ اللهِ لا أنا باغياً   لأطعنَ قلبَ الطاحبِ المتوَدِّدِ
ولكنني سَمَّيتُ من باتَ عائبا   على العَبثِ الخنزيرَ حينَ التعندِ
فأيُّ كتابٍ رامه لقراءةٍ   ويفتحُهُ من دونِ قصدٍ ومرصدِ
نَصيبٌ له لا بُدَّ يلقى صحيفةً   يكون بها عيبٌ وللعيبِ يهتدي

(١) فدفد: الفلاة التي لا شيء بها.
(٢) الدد: اللهو واللعب
(٣) الفناطس: الخنازير.

١٣

قرويٌ ووَزٌ

هَـشٌ راعٍ عــلــى أبــابــيــل وَزٌ بـالـعَـصَـى يَـشْـتَـكِـدُهـا قُـدَامَـهْ
كـنَّ يـنـعـيـن ذاتـهـنَّ ثُـبـوراً صـائـحـاتٍ يـقـعـين ويَـهْـاً مـلامَـةْ
ذاك لـم يـألُ قـطُّ سـيـراً حـثـيثاً طـلـبَ الـسُّـوقِ لـلـبـلـوغِ مـرامَـةْ
لـيـسـتِ الـوَزْنِ تَـبـيَّـنَ ربـحٌ وحـدَهـا تـتـحـمّـلُ لآسـتـضـامَـةْ
كلُّ ذِي متجرٍ يخوضُ المنايا لاكـتـسـابٍ ومـن يُـعـيبُ اهـتـمـامَـهْ
وترى الوزُّ مستشبطا تشكّى هـزَّ لـلـغـيـظ رأسَـهُ وقـوامَـهْ
يـتـقـمـقـمُ بـاغـيـاً حَـكَـمـاً لا يـرتـشـي حـائِـدا عـن الاسـتـقـامَـهْ
وإذا سـائـرٌ عـلـى الـدرب فـاسْـتَـوْ قَـفْـنَـهُ وضـرعـنَ رفـع الـظُّـلامَـةْ
صُحْنَ يا صاحِ فَاقْضِ ماأنت قاضٍ قـد سَـئِـمْـنَـا الـحـيـاة أيَّ الـسـآمَـةْ
لا تـطـاقُ فـعـائـلُ الـمـرءِ هـذا شِـدَّةً وقـسـاوةً ونُـقـامَـهْ
راح يـقـتـادنـا كـسـوقـةِ وزٌ أو رعـاعٍ وكـلـنـا كـهـكـامَـهْ[1]
أفـافـطـغُ مـن جـهـالـة مـن لـم يـدرِ حـقًّـا لـنـا ويـرعـى زمـامَـهْ[2]
إنـنـا نـحـن مـن سُـلالـة هـاتـيـكَ الأوَزِّ الـكـرامِ قـومِ الـزعـامَـهْ
والـتـي أنـقـذت مـديـنـة رُومـا[3] مـن بـلاءٍ والـلـيـل يُـسـدي قـتـامَـهْ

---

(١) أبابيل: طيور تنفرد عن الرق.

(٢) هكامه: موضع سخرية.

(٣) روما: سنة ٣٦١ لبناءِ روما على عهد رئيس الجمهورية كرنيليوس هجم الغالة على روما وقايدهم برينوس فنازلوا البلد وأقاموا حولها محاصرين وأوشكوا أن يفتتحوها غيلة وباتا مستلقين مرقباً وعر المسلك، كانت المدينة وقتئذٍ مبنية عليه وهو اليوم حصن سنتنج وقد هموا بقتل الحرس الساهرين على الخفارة لولا أبابيل وزّ في حظيرة هنالك هبّت لقعقعة السلاح ودبيب المعترك =

بينَ أهلِ العلومِ هذا حديثٌ   مستفاضٌ فيهِ لتلكَ الشهامَةْ
ولتذكارنا يقيمون عيدا   مُهَنِّئاً ومُبَشِّرا بالسلامَةْ
يا إوزّا في عصرِنا أبهذِي   تفتخرنَ وتبتغين الكرامَةْ
أفَلَيْسَ الجدودُ أسلافنا في   سابقاتٍ تحيَّزت بعلامَةْ
إنني لجهينةٌ[1] يؤخذُ التا   ريخُ عني وكنتُ علماً إمامَةْ
عارفٌ قِصَّةً تشيرون عنها   صيتَها وحُماسَها وَعَيَامَةْ[2]
الاَ أنتُنَّ ما فعلتُنَّ يوماً   نَبِّئْني بهِ لِفَضلِ الغرامَةُ
نحنُ نحنُ ولسنا شيئاً ولكنْ   كان أجدادُنا على الأفقِ هامَةْ
قد عرفنا الأسلافَ بل فَلْزُوهُمْ   مستريحينَ حتّى يومِ القيامَةْ
هم بما كَسَبُوا يُوفُّون أجراً   ولَكُنَّ أنتُنَّ غيرُ المقامَةْ
وأرى تصلحُنَّ للنظمِ في السَّفُودِ والاشتواءِ فوق الضَّرامَةْ
بنتُ خدرٍ كنايتي هذهِ عن   وجهِها لا يجوزُ حسرُ اللِّثامَةْ
ذاكَ أنّي أحاذرُ الوزَّ نُقْماً   فيُهيِّجنَ في الظلامِ نِيامَةْ

= تصفق بأجنحتها وتقعي صياحاً استيقظ له عسكر المدينة، فنشبت الحرب بينهم وصدقوهم القتال وارتدّ الاعداء مدحورين لا يلوي أولهم على آخرهم، فأكبر أهل روما هاتيك الأوز واعظموا أمرها وخصوها بالكرامة وجعلوا عيد الوز كل عامٍ في مثل ذلك اليوم تذكاراً للانتصار سُنّة مشهورة.

(١) جهينة: صاحبة الأخبار مضرب المثل: وعند جهينة الخبر اليقين.

(٢) عيامه: الشهوة.

١٣

تربيةُ الشبلِ

مِن سلاطينِ الوحوشِ القُدَمَا أسدٌ أَنجَبَ شبلاً في إرانْ(١)
واختلافُ الطبعِ مما عُلِما بينَنَا لا يقتضِي عنهُ البيانْ

فبنو الناسِ خواصاً أو عوامْ
حالهم في الطبع حكماً مجملَهْ
وسواءٌ كلُّ مولودٍ لعامْ
ابلَهٌ لا عقلَ لا قُوَّةَ لَهْ
غيرَ أنَّ الشبلَ في الحولِ التمامْ
بالغاً في شرِّهِ مستكملَهْ

مذ طوى العامُ على الشبلِ نَما يُذْعِرُ الوُحْشَ شديدَ النزوانْ
فلذا والده قد حتما بابتداءِ الدرس في ذاك الأوانْ

قالَ فرضٌ أن أربّي ولدِي
باهتمامٍ لايقٍ بابنِ المليكْ
فاذا أفضى إليه في غدِ
أمرُ قومي قامَ بالملكِ وَشِيكْ
أدبُ السلطان أجدَى مُنجدِ
في السياسيّاتِ لا أكلِ البَريكْ(٢)

أن أُعَلِّمهُ أكُنْ مغتنمَا لثناءٍ ما توالَى الملوانْ

---

(١) إران: نشاط

(٢) البريك: لعله قصد به البراك وهو نوع من السمك.

تاركاً ذكراً جميلاً عَمَمَا آبِياً للَّعنِ من قاصٍ ودانْ

إنما قد كان في فكرتهِ
خائضاً من حيرة لجَّ العبابْ
آن يربيهِ على فِطرتهِ
بِآدّخارِ العلمِ إبّانَ الشبابْ
يطلبُ الأفضلَ في سيرتهِ
حائِزاً من حكمةٍ أوْفَى نصابْ

لم يكن في الغابِ مما قد سما بالحجى الموفورِ مثلُ الثعلبانْ
ثاقبُ الفِكر إذا خَطْبٌ طَمَى مستشارٌ لتصاريفِ الزمانْ

قال لولا الكذبُ في أخلاقهِ
عادةٌ ما جازَ لي عنه محيدْ
ولَدي أشفَقُ من إلحاقهِ
بكذوبٍ عنه علماً يستفيدْ
كُلُّهُمْ يُقرنُ مع ارفاقهِ
مَثَلٌ مُشتَهِرٌ في كلٍّ بِيدْ

ما صدوقٌ وكذوبٌ توأما أفسيّانِ شجاعٌ وجَبَانْ
جاهِلٌ يصدقُ خيرٌ مِيْسَمَا من حكيمٍ فايقٍ بالعلم مانْ

وكثيراً ما يُثيرونَ عليّ
باتخاذ الخلد حبّاً للنظامْ
مُتقَنٌ ترتيبُهُ في كلٌ شيّ
مُحكَمُ التدبيرِ في قصدِ المرامْ
يَتَمشّى وهو موزونُ الخُطَيّ

يـتـوقّـى الـغـدرَ أو رشـقَ الـسِّـهـامْ

يـجـتـنـي حَـبًـا بُـزوراً قُـرطـمـا كـاقـتـطـافِ الـكـرمِ كَـفٌ وبـنـانْ[1]

كـلـهـا يـفـتَـصُّـهـا مـسـتـطـعـمـا من لُـبابِ خالصٍ مثلِ الجمانْ

مـاهـرٌ عـقـلاً ورأيـاً وخَـبَـرْ

ورشـاداً وسـداداً واغـتِـنـاءْ

وصـغـيرُ الـجـسـمِ حـجـمـاً مـحـتـقَـرْ

وكـبـيـرُ الـفـعـلِ مـثـلَ الـجُـسـمـاءْ

بـئِـسَـمَـا خـامَـرَهُ ضـعـفُ الـبـصـرْ

لا يـرى جـانـبـه سـاقَ الأشـيـاءْ

كـل ذي رأيٍ قـد اسـتـحـسـنَ مـا عـنـد هـذا مـن مـزايـاهُ الـحِـسـانْ

إنَّ مُـلـكِـي لـكـبـيـرٌ عـظُـمـا لا صـغـيرٌ كـوجـارِ الـخـلـدِ هـانَ[2]

ليس في الحيوانِ ما حاشى النمورْ

غـالـبٌ ذو مُـرَّةٍ بـعـدي يُـرادْ

بـيـدَ أنَّ الـنـمـرَ مُـغـرى بـشـرورْ

شَـرَسٌ يـقـهـرُ بـالـبـغـيِ الـعـبـادْ

مـالـه عـلـمٌ بـتـدبـيـرِ الأمـورْ

أفـيُـرجـى لـصـلاحٍ وسَـدَادْ

كـيـف بـالـنـصـح يـدلُّ الـحَـكَـمَـا غـادرٌ هِـمَّـتُـهُ الـحـربُ الـعـوانْ

وأمـيـرُ الـخـلـقِ جـنـديُّ الـحِـمَـى وهـو قـاضٍ وأَبٌ رحـبُ الـجـنـانْ

فـاعـلـمـوا مـخـتـصـرَ الـشـرحِ الـطـويـلْ

(١) قرطما: حب العصفر

(٢) الوجار: حجر الحيوان.

باتَ محتاراً وفي الأمرِ اضطربْ
وازدرى ما وصفوا عن عقلِ فيلْ
وازدرى ما وصفوا عن عقلِ فيلْ
صيتهُ في الغاب لقمانُ العربْ
أو كأفلاطونِ يونانَ النبيلْ
وابتغى الأعلمَ تعليمَ الأدبْ
عقبَ ذا لكنني لن أعلما   هل لسعد الليث أم تعسٍ وذّانْ
ذاع عن هذا كلام العُظَما   سائِرا في كل فجٍّ ومكانْ

* * *

نقلت هذا الحديثَ الألسِنَهْ
عَلَنَاً حتى نَمى للهدهدِ
نبّأَ النسرَ به واستيقنَهْ
وَهْوَ سلطانٌ حليفُ الأسدِ
خاطب الليث قضاءَ التُلُنَهْ(١)
قصدَ ترشيحِ ابنهِ للسُّودَدِ
يا أخا الودِّ الصديقَ الأكرما   إفترضانيَ أستاذَ الـمِرانْ
أُقرِئهُ الشبلَ دروسَ العلمِ ما   يقتضي عرفانهُ في كل شانْ
ما تخال الليثَ إلاّ حُطَّ عنْ
ظهرهِ وَقْرٌ ثقيلٌ أرهقَهْ
هتفَ الجمهورُ هذا لحسَنْ

---

(١) التلنه: الحاجة.

ولـقـد وافـقَ شَـنٌّ طـبـقَـهْ[1]
من كـسـلـطـان عـظـيـم ذي زَكَـنْ[2]
لابـنِ سـلـطـانٍ عـلـى الـعـلـمِ ثِـقَـهْ

* * *

فـأعَـدُّوا مـسـرعـيـن الألـزمـا قـدرَ الـطـاقـةِ فـي أسـرع آنْ
ومضوا للنسرِ بالشبلِ كما أجـمـعـوا رأيا بِـقَـلْـبٍ ولِـسـانْ
وزَهـا عـامـيـنِ فـي الـغـاب اشـتـهـرْ
عـن لـسـان الـطـيـر مـدحُ ابـن الأسـدْ
نـقـل الـطـيـرُ عـن الـشـبـل الـسِّـيَـرْ
مـن عـلـومٍ وفـنـونٍ ورشـدْ
أعـجـبَ الـكـلُّ بـه لـمـا انـبـهـرْ
مـعـشَـرُ الـطـيـرِ ومـن جَـدَّ وَجَـدْ

* * *

وأبـوه الـشـيـخ إذ قـد هـرمـا عـارفـا بـالأَجَـلِ الـمـوعـودِ حـانْ
طَـلَـبَ الـشِّـبْـلَ إلـيـه بـعـدمـا أصـدرَ الأمـر بـديـوانِ امـتـحـانْ
عـقـدَ الـوحـشُ بـأمـرِ الـقَـسْـوَرَهْ[3]
مـجـلـسـا غـصَّـت بـه رَحْـبُ الـفـلا
ودعـا الـلـيـثُ ابـنَـهُ واسـتـحـضَـرَهْ
فَـرِحـاً عـانـقَـهُ مـسـتـقـبـلا

(١) وافق شن طبقة: المثل السائر المعروف.
(٢) الزكن: التفرس والظن.
(٣) القسورة: الأسد.

قـال تـسـعـى قـدمـي لـلـمـقـبـرَهْ

وبـإزثٍ لـك مـن بـعـدي الـوَلاَ

هـاتِ نَـبّـئْـنـا وبَـيِّـن كـلّـمـا حُزْتَ حتى اليومِ من علمٍ مُزان

وبـمـا تـسـعـدُ هـذي الأمـمـا من وحوشِ الغاب نوعِ الحيوانْ

فـأجـاب الـشـبـلْ لا أجـسـرُ فِـي

حضرةِ السلطانِ إسهابَ الخِطابْ

إنـنـي أعـرف مـا لـم يـعـرفِ

هـهـنـا الـخُـضّـار مـن أمـرٍ عُـجـابْ

مـثـلاً ألـطـيـر أنّـى تـخـتـفِـي

إنـنـي أدرك هـذا بـالـصـوابْ

أُعـلِـمُ الـنـسـرَ الـنـعـامَ الرَّخَـمَـا وجـمـيـعَ الـطـيـرِ قُـطـراً ومَـكَـانْ

مـمـا تـقـتـاتُ وتـغـذي مَـطـعـمَـا كيف قُوبُ البيض ثم الاحتضانْ

وأنـا أحـفـظُ هـذي كـلّـهـا

ومـن ارتـابَ بـفـكـرٍ مـوجـسَـا

فـإجـازاتُ اسـاتـيـذي هَـا

حـجـةٌ بـرهـانُـهـا لـن يـطـمـسَـا

سـار بـيـن الـطـيـر مـن أمـثـالـهَـا

إنـنـي أصـطـاد حـتـى الـخُـنّـسَـا[1]

ومـتـى بُـويـعَ لـي مـحـتـكـمـا فـأنـا مُـضّـلِـعٌ كـسـبَ الـرهـانْ

عـارفٌ مَـلْءَ الـخِـزانـات بِـمَـا لِ وفـيـرِ لـصـروفِ الـحـدثـانْ

---

(١) الخنّس: الكواكب

عـازِمٌ أن أحـمـلَ الـوحـشَ عـلـى
وكـنـاتٍ فـوق دوحٍ أو حـضـيـضْ[(١)]
أسِـفَ الـشـيـخُ أبـوه الـمـبـتـلـى
عـارفـا خـدعـتـه الـكـبـرى يُـنِـيـضْ[(٢)]
أَطـرق الـحُـضّـارُ أيـضـا خـجـلا
سبقَ السيف وقد حالَ الجريضْ[(٣)]

فأجابَ الليثُ يا ابني طالما   لك مُلْكُ الوحشِ بالتقديرِ كانْ
هكذا قد خُطَّ في اللّوح وما   بعلومِ الطير فيه يُستعانْ

يـنـبـغـي أن تـعـلـمَ الـسـلـطـان مَـعْ
قـومـهِ أعـمـالُـه مـنـحـصـرَهْ
واجـبٌ يـجـري بـهـم فـيـمـا نـفـعْ
ويـقـي الـمـلـك الـمـفـدّى ضَـرَرَهْ
إنـهُ الـرأيُ الـسـديـدُ الـمـتـبـعْ
لـسُـلُـوكِ الأمـةِ الـمـنـتـصـرَهْ

(١) وكنات: أعشاش.
(٢) ينيض: يدرك.
(٣) الجريض: غصص الموت.

مَرْءَآةٌ وقرد

حكى لنا الرّاوُوْنَ عن ... قردٍ ودُبٌ في سَمَرْ
في صفحة المَرْآةِ قِرْ ... دٌ مُذْ تَراءى وانْبهرْ
وأعْجَبَتْهُ نفسُه ... وهيئَةٌ فيها اشتَهرْ
دَبَّ على الدُّبِّ يداً ... هزَّ به ثم انتهرْ
وقال ما أشنأَ ذا ... الممسوخَ من بينِ الصُّوَرْ
لو حَلَّ بعضُ قبحِهِ ... بي فاظَ قلبي وانفطرْ
أقبِحْ بِهِ ذا سَحنةٍ ... شَوهاءَ سوداءَ الوَبَرْ
ونوعُهُ جميعُهُ ... أبشعُ خَلْقٍ في النظرْ
أجابه الدُّبُّ على ... تعييره بما ذكرْ
أيا أخي القردَ الْتَفِتْ ... وارْجِعْ لمرآكَ البصرْ
تجدْ على نفسِك ما ... أنكرت مني فالحذرْ
أَلَخَلْقُ لا يرون ما ... في ذاتهم من العَوَرْ
مسألةٌ مبحوثةٌ ... بالأمسِ عنها ذو غُبَرْ
إنَّ الرُّشَى يأكُلُها ... بَكْرٌ ويحكى عَنْ عُمَرْ[1]

---

(١) الرشى: جمع رشوه.

ذئابٌ وغَنَمٌ

استهلكَ الذئابُ الضان * بكثرةِ الخطف وشِدَّةِ العِدوان * وحَمَوا البواديَ وكَلأَها * وخربوا الحظائرَ وقتلوا رُعاءَها * فعيلَ صبرُ الضانِ إذ لم يبقَ لها في الحياة مطمع * وصاحت تستغيثُ وهيهاتِ من يسمع * والذئابُ لا تكفُّ ولا تقنع * فأعرضت الضانُ خَطْبَها لدولةِ وحوش الغاب * تشتكي متظلْمةً من جورِ الذئاب * فعقدَ دولةُ الوحوشِ في أحدِ الوِديان * لكشفِ ظُلامةِ الضّان * مجلساً حضرَهُ الذئابُ فكانوا الأكثرَ عدداً * ليمنعوا عن الضانِ ويكونوا لها عوناً ومدداً * فمن قائلٍ إنّ كلَّ ذئبٍ شرٌ بالطبع خطّاف * ومن قائلٍ أنَّ بعضَ الذئبِ يمرُ وديعاً لكن إذا كان شعبان ولا يفترسُ الخِراف * وعلى كلّ حالةٍ تجب صيانة الضان * كمالا يجوزُ أن يُضيَّقَ على الذئابِ البتةَ في زمانٍ ما أو مكان * فتفكَّر أرباب هذه الدولةِ وتشاورُوا * وتكلّموا في هذا المجلسِ وتجاأروا * ثُمّ وضعوا قانوناً ونظاماً * وحكموا على الذئابِ أن تمتثل أمرَهُ إبراماً.

وهذه ترجمةُ النظام كلمةً بكلمَةٍ * ليفهمَها كلُّ خروفٍ وغنمَةٍ: إن كل ذئبٍ يعدو على الضانِ سواءً أكانت من الغنم أو الخراف * فيحقُّ للضانةِ أن تجرَّ الذئبَ من مخنقهِ من دون أن تحترمَه أو تخاف * ولتأتِ بهِ إلى الغابةِ الأقربِ لمكانها * فتصيح هنالك مستنصرةً بجماعةِ الوحشِ من سكانِهَا * ولا حاجةَ وقتئذٍ إلى القاضي والشهود.

فاعتبْر من هذا المثلِ بالمقصود * واعلمْ أن الذئاب وإن لم تكن لهم الحريةُ المطلقَه * فإنهم يذيقون الضانَ ما بينَ ظهرانيهم العذابَ الأليمَ والشدائد المرهقَه * وعند الله يجتمع الأخصام ولسوف تلقون ما كنتم تكسِبون.

١٦

موت الحيوانِ

مـن الـسـمـاءِ نـقـمـةٌ فـجـيـعَـه هـابـطـةٌ رجـزاً عـلـى الـطـبـيـعَـة
حـيـوانـهـا فـي الـغـابِ والـبـقـيـعَـة
راحَ الـوبـا يَـجْـرُفُـهُ جـمـيـعَـة
وجـمـلـةُ الـحـيـوانِ فـي اضـطـرابِ أنـيـسُـهـا حَـتّـى سـبـاعُ الـغـابِ
جـنّـهـمٌ مـفـتـوحـةُ الأبـوابِ
تَـدْهَـدَهُ الأرواحُ فـي الـعـذابِ

* * *

وسـايِـقُ الـرّدَى عـلـى الـتـقـديـمِ يـحـدُو بـهـا كـالـنـارِ فـي الـهَـشِـيـمِ
والـوَحْـشُ مـن خـوفٍ ومـن هُـمـومِ
يـذوقُ طـعـمَ الـمـوتِ بـالـشـمـيـمِ

* * *

كـادَ الـسـبـاعُ بـالـوَبـا تـبـيـدُ وكُـلُّ يـومٍ خـطـبـهُ جـديـدُ
حـتـى زَعـوى الـمـفـتـرسُ الـعـنـيـدُ
شُـجـاعُـهـا لـخـوفـهِ رِعـديـدُ
تـخـالُ هـاتـيـك الـسـبـاعَ الـضـاريَـهْ أنـيـسـةً ولا هـيَ كـمـا هِـيَـهْ
هـاديـة رابـضـة فـي زاوِيَـهْ
قـانِـتَـةً خـوفَ هـجـومِ الـداهِـيَـهْ

* * *

الـذئـبُ لا يـفـتـرسُ الـنـعـاجَـا ولـو طـوى مـن جـوعـهِ مـحـتـاجَـا

أبـو الـحـصـيـنِ صـامَ والـدجـاجَـا
بـالـنـسـكِ فـي تَـوبـتـهِ عـجَّـاجَـا

* * *

من هادمِ اللذاتِ بينَ الصحبِ   قـد غـادَر الـدجـاجُ أكـلَ الـحَـبِّ
وهـجـرَ الـحـمـامُ وَصْـلَ الـحِـبِّ(١)
والـعـيـشُ مـوتٌ مـا خـلا مـن حُـبِّ

* * *

فـالـليـثُ فـي الـبـليـةِ الـدَّهـمـاءِ   تـلـك الـتي طمَّت على الغبراءِ
لـمـجـلـسِ الـشـورَى عـلـى الـبـلاءِ
دعَـا إلـيـهِ الـوحـشَ فـي الـبـيـداءِ
فجاءهُ الحيوانُ موصولَ الرِّباطْ   لكنهُ للخوفِ مقطوعَ النياطْ
كـأنـهُ يـمـشـي عـلـى سـيـفِ الـسِّـراطْ
مـحـتـشـداً مـن كـل فـجٍّ بـاخـتـلاطْ
فـسـلَّـمـوا ثـم جَـثَـوا لـديـهِ   آذانُـهُـمْ مـصـغـيـةٌ إلـيـهِ
نـفـوسُـهـم مـشـفـقـةٌ عـلـيـهِ
مـنـقـادةٌ لـقـبـضـتَـي يـديـهِ

* * *

فـقـالَ يـا صَـحَـابَـي الـغـوالِـي   ذُنـوبُـنـا عـظـيـمـةُ الـوبـالِ
تـذيـقُـنـا شـدائـدَ الـنَّـكـالِ
بـغـضـبِ الـجـبَّـارِ ذي الـجـلالِ

(١) الحب: الحبيب.

أكبرُ ذنبٍ كائناً من كانَا فينا ليجعلْ نفسَهُ قُربانَا
وليهبَنْ ذاتَهُ الرحمانَا
عسى نُزيحُ الرجزَ عن جِمَانَا

* * *

وأننا إذ نسبلُ الدُّموعَا نستعطفُ اللهَ بنا سريعَا
أما عَلِمْتُمْ أثراً متبوعَا
فينا الذبيحُ نفسَهُ مطيعَا

* * *

بهائمُ الأرضِ جميعاً ههنا لِتعترفْ بما أَتتْهُ علَنا
وبانسحاقِ القلبِ مهما أمكنَا
توضحُ عَمَّا اقترفت مُبَرْهَنَا

* * *

عَلَيْكُمْ بالتوبةِ النصوحِ والجهدِ في الرمادِ والمُسُوحِ
وندمٍ بالمدمعِ المسفوحِ
على الذنوبِ وعلى القبيحِ

* * *

يا ويلتي أَكْتُم ما نَقَمْتُهُ يداي رهنٌ بالذي اجترمتُهُ
كم حملٍ بغيرِ ذنبٍ عقتُهُ
وما رحمتهُ وقد شققتُهُ

* * *

أما حرام بعدَ أكلِ الشاةِ ما حلَّ من بطشيَ بالرُّعاةِ
باؤا بلا إثمٍ ولا جناةِ

بـالـويـلِ والـثـبـورِ فـي الـفـلاةِ

* * *

منفطرٌ قلبي خشوعاً ونَدَمْ   راضٍ بتسليمي وجودِي للعَدَمْ

نفسِي الفدا تشفيكُمُ من القَرَمْ[1]

ضحيَّةٌ طوعيةٌ مهراقَ دَمْ

* * *

وواحدٌ فواحدٌ كما اصطفَفْ   مرتَّباً على مناصبِ الشَرَفْ

أتقَى وأبقَى وَرَعَاً إذا اعترَفْ

بعضٌ لبعضٍ بيننا بما اقترفْ

* * *

حتى نَرَى الأكبرَ إثماً فينا   من جرمِهِ موتُ الوبا يُفنينَا

نَختَصُّهُ ذبيحةً تُفدينَا

ونستغيثُ اللاتَ أن تَقِينَا[2]

* * *

فابتدرَ الثعلبُ حالاً وابتدَا   وقالَ يا مليكَنا عِشْ أبدَا

فؤادُكَ السليمُ في طرقِ الهُدَى

يخطرُ إن أتيتَ إدّاً أو رَدَى[3]

* * *

لو أننا بالحقّ أنعمنا النَّظَرْ   فحصَ الضميرِ عن نظيرِ ذا الوَزَرْ[4]

---

(١) القرم: شدة الشهوة إلى اللحم.

(٢) اللات: اسم صنم عبد في الجاهلية.

(٣) الإد: الأمر العظيم والداهية.

(٤) الوزر: الإثم.

أتـنفُـسُـنَـا بـالـجـوعِ نَـفْـنِـيـهـا هَـدَرْ
وأن هــذا لا يــجــوزُ فــالـحَـذَرْ

* * *

أيـا أبـانـا الأوحـدَ الـمـكـرَّمَـا ما غَمطَ الفضلَ سِوَى أهلِ العَمَى
أمـا كـفَـى الـحـمـلانَ مـجـداً مـعـلَّمَـا
بـفـمِـك الـطـاهـرِ أن تـلـتـقَـمَـا

* * *

وغـيـلـةُ الإنـسـانِ عـنـدَ الـعَـسَـسِ واجـبـةٌ عـدلاً بـشـقِّ الأنـفـسِ[1]
لا سِـيَّـمـا راعـي الـخـرافِ الـنـجـسِ
بـحـكـمِ هـذا الـمـجـمـعِ الـمـقـدَّسِ

* * *

بَـهٍ بَـهٍ عـلـى الأعـادِي تـنـتـصـرْ بـهـكـذا كـلُّ ظـلـومٍ يَـغـتَـبِـرْ
مـا ارتـدَّ هَـؤُلاء مـمَّـن يـأْتـمِـرْ
إرغـامَـنـا إلاّ بـبـطـشِ الـمـقـتَـدِرْ

* * *

فـإنـهـم ذُرِيَّـةُ الإنـسـانِ قـد حـجـزوا حُـرِّيَّـةَ الـحـيـوانِ
ومـالـوا بـالـجـنـفِ وبـالـعِـدوانِ
مُـلْـكـاً لـرقِّ الـوحـشِ بـالـسـطـانِ[2]

* * *

فـجـعـجـعَ الـسـبـاعُ بـالـضَّـوضـاء زِيـاطُـهـم كـالـرعـدِ فـي الـسَّـمَـاءِ

---

(١) العسس: الطلب.
(٢) السطان: الخبث.

وأيّدوا هذا من الإمضاءِ
في الرأيِ ثم الصونِ للدماءِ

* * *

وليسَ تثريبٌ على اسَامَهْ   في مقتل الرُّعاءِ أو مَلاَمَهْ
ساقتْهُمُ أقدارُهُم قُدَّامَهْ
لا دِيةٌ في الشرعِ أو قُسَامَهْ

* * *

واعترفَ النمورُ بعدَ الأسدِ   بالصَفِّ حتّى كلُّ سِيْدٍ أجرَدِ
جهراً أمامَ المجلسِ المُحتَشِدِ
بالقَتْلِ والخَتْلِ وجورِ المعتدي

* * *

من يستطيع الحكمَ بالصوابِ   على العديمي الدينِ والأربابِ
ذو البرثنِ الحدِّ الطويلُ النابِ
مُبَرَّأُ الذمةِ في الحسَابِ

* * *

وفوقَ ذا اعتُدوا ثواباً باهِيْ   لهولآءِ الفتكَ والمناهِي
لولا الحياءُ والحياءُ ناهِي
لاحتسبُوهُمْ أولياءَ اللهِ

* * *

حتّى أتتْ نوبةُ عجلٍ خَوّاز   قال نعم نحنُ اختقبنَا الأورازْ
علامَ أُخفي خَويتي للإستِنازْ[1]

---

(1) حويتي: نفسي.

ألـيـسَ تـمـصـيـحُ الـذنـوبِ الإقـراز

* * *

مذ خمسةٍ أو ستةٍ من السنين والثلجُ في الآفاقِ غطّى الأرضينْ

عَـلَـفُـنَـا قـد قَـلَّ فـي ذاك الـحـيـنْ

فـوَسـوَسـتْ فـي صـدريَ الـشـيـاطـيـنْ

برّحَ بي في الجوعِ طولُ المكثِ ولـيـسَ مـن يَـقْـرِضُـنِـي لـلـغـوثِ

فَـحـثَّـنِـي إبـلـيـسُ كـلَّ الـحَـثِّ

من عشبِ قُسٍّ نلتُ قدرَ الضَّغْثِ[1]

* * *

فـلـم يُتِـمّ الـقـولَ إلا ادرَنْـفَـقَـتْ من أربعِ الجهاتِ حتّى أطبقتْ[2]

كـلُّ الـنـمـورِ والـذئـابِ اصـطـفـقَـتْ

بـصـيـحـةٍ واحـدةٍ فـصـعَـقَـتْ

ها هُو هذا المجرمُ العجلُ المُسِي أنّـى يـحـلُّ الـرزقُ لـلـمـخـتَـلِسِ

لا سـيَّـمـا مـا صـيـنَ قـوتَ الأنـفـسِ

مـن حـرمِ الـقـدسِ ومـالِ الـقُـسُـسِ

هذا الذي للرجزِ قد كان السببْ هـلُـمّ نـذبَـحْـهُ سـريـعـاً لـلـنُّـصَـبْ

جـعـلـهُ قـربـانـاً وبـالـحـقّ وَجَـبْ

لـنـدفـعَ الـوبـاءِ عَـنّـا والـغَـضَـبْ

* * *

وحمّلوا الذنبَ على المسكينِ وأبـرمـوا قـضـاءَهـم فـي الـحـيـنِ

---

(١) الضغث: التباس الشيء بعضه ببعض والمراد هنا أن العجل أكل خطأ شيئا من عشب القس.

(٢) ادرنفقت: تقدمت بسرعة واقتحمت.

وعجّلوا بمقطعِ الوتينِ

فوقَ الأثافي ظاهرَ العَرينِ(١)

* * *

والمثلُ السائرُ في البلادِ   جارٍ على ألسنَةِ العِبادِ

كلُّ وديعٍ في الأنامِ هادي

مستهدَفٌ لوطأةِ الأعادي

---

(١) الأثافي: قوائم الموقد، وفيها المثل: رماه الدهر بثالثة الأثافي.

دينارٌ

هَل العلمُ والآداب زينٌ فقيلَ مَهْ ... ومن قاسَ إنساناً بِتَيْسٍ مُغَمْغِمِ
بَلَى ينبغي كشفُ المغطَّى ونبشُ ما ... من الجهلِ والتمويهِ بالعلم يَنْتَمي
فَكَمْ وَهَمُوا كِبْراً ذُهولاً تبرُّجاً ... عُلُوماً وآداباً بزُعمِ الغَشَمْشَمِ(١)
وهذا سبيلٌ لا سلامةَ خَلْقَهُ ... ولا منفذٌ للسالِكَ المتقدِّمِ
وتفريقُنا ما بينَ هذا وهذه ... يفكُّ انتفاعاً راحَ بالضُّرِّ مُدغَمِ
إذا ما جَلَونا عن فِرنِدٍ صَدَاءَهُ ... فلا نذهبَنْ بالنصلِ حدَّ التثلُّمِ(٢)
حَذِيُرِكَ عندَ الصقلِ تمحو غريزةً ... وفطرةَ طبعٍ ساذجٍ مُتكرِّمِ
ألا يا ذوِي الألبابِ هذي حقيقةٌ ... مدوَّنةٌ شرحاً بفَضْلِ التعلُّمِ
وما أنا مأموراً لأصدعَ منذِراً ... ولكن بنوعِ الهزلِ جدُّ تكلُّمِي

* * *

رأى قرويٌّ في فلاة يجوبُها ... من الذهبِ العاديِّ دِينارَ دَيْلَمِ(٣)

---

(١) الغشمشم: الرجل الذي يركب رأسه ولا يثنيه شيء عن شجاعته.

(٢) فرند: حد السيف.

(٣) الديلم: هم الأرازقة أو الاشكانيون أو الاشغانيون قدماء ملوك الأرمن، فمن عرّب أرشاق على أزواق قال الارازقة ومن عرّبه على آشك أو آشغ قال الاشكانية والاشغانيه، وإذا انوجد دينارهم كيفما كان يساوي الان خمسين ليرة، وليس في التاريخ شبهة نظير ما في جدول ملوكهم وتحديد مُددهم؛ وأكثر أخبارهم نقلها المؤرخون عن كتب الأرمن وأحسن من جمع جداول ملوكهم واعتنى بتصحيح مُددهم من المتقدمين الحكيم المنصف الذي لا يبخس الناس أشياءهم أحمد بن محمد أبو الريحان البيروني الخوارزمي في كتابه المسمى بـ«الآثار الباقية عن الأمم الخالية»، محتجاً بكبائس الفرس كل ١٢٠ عاماً وبالشابورقان لماني راداً على حمزة الاصفهاني وأبي الفرج الزنجاني وقد اثبت عدة جداول لملوكهم نقلها من كتاب البستا وهو كتاب الدين والشاهنامه وغير ذلك، وبعضها يتطابق على ما هو في كتب الارمن وهذا كتاب نادر رأيت اسمه بدفتر مكتبة في رحبة جامع السليمانية في استنبول، لكن الكتاب كان مفقوداً، ثم وجدت في مكتبة لندن نسختين إحداهما مضبوطة وأفضل من أفاد في المتاخرين عن تصحيح نَسَق هؤلاء=

وقـد بـذلَ الـرُّغّـابُ قـيـمـتَـهُ لَـهُ		من الـمالِ ما فيهِ ثَرَاءٌ لمُعْدَمِ[1]
تـظـنـىٌّ بـأغْـلَـى قـيـمـةٍ سـيَـبـيـعُـهُ		متى صار وهّاجاً كَجَمْرٍ مُضرَّمِ
فـأوري بـهِ زنـدَ اهـتـمـامٍ لِعَـرْكِـهِ		وتحكيكهِ بالرملِ في كفِّ ضيغمِ[2]
فـأنـقـصَـهُ وزنـاً وطـمَّـسَ نـقـشَـهُ		وعـفّـاهُ حـتـى مـا يـبـاعَ بـدرهَـمِ
وأضحى قصارَى صقلهِ واجتلائهِ		بَـوَاراً عـلـيـهِ لـلأسَـى والـتـنـدُّمِ

= الملوك تطبيقاً على ما انوجد من سكتهم مؤرخ العصر الأمير صبحي بك بن سامي باشا في تاريخه المشهور.

(١) الرغاب: جمع راغب: المريدون.

(٢) ضيغم: قرد.

مُشطٌ

وَالـدةٌ أهـدتْ إلـى طِـفـلـهـا ... مشـطاً فزاغَ الطفـلُ بُهراً بِهِ
ولـم يَـكَـدْ يـتـركـهُ لـحـظـةً ... فـي درسِـهِ مـاكـانَ لـو لُـعـبِـهِ
يُـجـيـلُـه فـي رأسـهِ دائـبـاً ... مُغرًى بصقلِ الشعر من عُجبهِ
وشـعـرُهُ كـالـخـزِّ فـي لَـمـسـهِ ... لِـيـناً وكـالـعـسـجـدِ فـي صُـهْبهِ
ومُـشـطُـهُ نـاهـيـك مـن حـسـنـهِ ... أطـوعُ مـنـقـادٍ إلـى رَبِّـهِ
لا يـنـبـشُ الـغـرَّةَ أو يـعـقـدُ ... الـعـقـصـةَ بل يمرق في سِربهِ
يـعـبرُ بـيـنَ الـشـعـرِ أزلـقَ من ... زيـتٍ مُـذابٍ سـال مـن ثُـقـبـهِ
أحَـبَّـهُ الـطـفـلُ هَـيَـامـاً بـهِ ... أغلى من العينينِ في قلبهِ
وضـاعَ ذاك الـمـشـطُ يـومـاً ولا ... أعـلـمُ مـا الـقـصـةُ فـي خَـطْـبـهِ
فـالـطـفـلُ مـلـهـوفـاً عـلـى فـقـدهِ ... مـنـتـحـبـاً يـجـهـشُ مـن كـربـهِ
قـد غـادرَ الـدرسَ ولـم يَـلْـتَـفِـتْ ... لِـلَّـعـبِ أو لِـلَّـهـوِ مـعْ تِـربـهِ
يـخـلـعُ مـن جِـدَّتـهِ شـعـرَهُ ... مـتـقـداً كـالـجـمـر فـي هَـوْبـهِ[1]
عـشـكّـلَـهُ بـالـنـبـشِ مـن غـيـظـهِ ... فـصـار كـالـلُّـبَّـادِ مـن ضـربـهِ[2]
ولـم يَـدَعْ تُـمَـشِّـطُـهُ ظِـئْـرُهُ ... أو أمُّـهُ تـدنـو إلـى صَـوبـهِ[3]
يُـعـولُ بـالـنـدبـةِ مـسـتـكـلـبـاً ... وحَـوبـه يـهـربُ مـن سَـبِّـهِ
يـصـرخُ أيـنَ الـمـشـطُ هـاتـوهُ لـي ... أريـدُه لا بُـدَّ مـن جَـلـبـهِ

---

(١) هوبه: الهوب: اشتعال النار ووهجها.
(٢) عشكله: علق به صوفا أو غيره فتذبذبت في الهواء.
(٣) ظئره: مربيته.

فـأبـواهُ نـفـضَـا كـلَّ مـا   في البيتِ حتى الحِلْسَ عن تُربهِ[1]
ووجـداهُ بـعـدَ طـولَ الـعَـنَـى   مُـغـلـغـلاً قـد كـان فـي ثـوبـهِ

* * *

فـسـكـنَ الـطـفـلُ لـوجـدانـهِ   من صَرعهِ وانكفْ عن ندبهِ
لـكـنَّ ذاكَ الـمـشـطَ أمسى بـلا   فـائـدةٍ لـلـنـفـعِ تُـرجَـى بـهِ
والـطـفـلُ إذ أَلَّـمـهُ قـال مـا   أرداً هـذا الـمـشـطَ فـي عـيـبـهِ

* * *

أجـابـهُ الـمـشـطُ أنـا لـم أُحِـذ   عـن سِـيـرتـي الأولـى أَلَمْ تَـنْـبَـهِ
فـاغـتـاظَ إذ أوجـعَـهُ نَـزعَـةً   ألـقـاهُ فـي الـجـدولِ عـن جَـنبـهِ
عـجـائـزُ الأحـيـاءِ خـبَّـرْنَـنَـا   يَـجِلُ هذا المشطُ عن مشبهِ
الـخـيرُ مـنـا امـتـشـطـوا قـبـلَـنـا   بـه ولا يـشـكـون مـن ذنـبـهِ
كـم شـاهـدت عـينايَ قوما كذا   يـعـامـلـون الـحـقَّ فـي غَـضْـبِـهِ
إن تـسـتـقـمْ نـيّـاتُـنـا تـهـتَـدِ   أفـعـالُـنـا الـحـقَّ فـي غَـضْـبِـهِ
وعـنـدنـا الإنـصـافُ أفـضـلُ مـا   أكّـدهُ الـلـهُ عـلـى حِـزبـهِ
وكـل مَـنْ نِـيَّـتُـهُ تـلـتَـوِي   لـلـسـوءِ ذا يَـعْـدِلُ عـن دَرْبِـهِ
ويـنـبـذُ الإنـصـافَ لا يـرتـضِـي   بـحـقِّـهِ بَـغْـيـاً عـلـى صَـحـبِـهِ
نـظـيـرَ طـفـلٍ نـابـشٍ شـعـرَهُ   يـكـرَهُ جَـذْلَ الـمِـشْـطِ مـن دَأْبِـهِ

---

(١) الحلس: كل ما يبسط تحت متاع البيت.

ثعلبٌ ونمسٌ

أبا الحصينِ أينَ تجري ماضيا عـلامَ لا تـرنـو إلـيَّ راضـيًـا
عن خِلّك النمسِ ترى التغاضيًا أجـابـهُ لا تـسألـن عـن حـالـيَـا
مُـتَّـهَـمٌ بـالـزورِ مـن أقـوامـيًـا قالوات ارتشى وأطردُوني قاصيًا
وكـنـت فـي قِنِّ الـدجـاجِ قـاضـيًا مـجـتـهـداً قَـوّامَ لـيـلٍ عـانـيًـا
أبيتُ لا يـهـجعُ طـرفـي شـاهـيًـا أدركـنـي الـضـعـفُ مـن جَـتـهـاديًـا
لا أستطيعُ البَلْعَ في طعاميًا عـافـيـتـي سـلامـتـي صـفـائـيًـا
لـذيـذُ عـيـشـي راحَ عـنـي نـائـيًـا وبـعـدَمـا قـاسـيـتُ مـن شـقـائـيًـا
مُـتَّـهَـمـاً عـلـيـه أقـصـى قـالِـيًـا أجِـلْ بـمـا أبـديـتُ فـكـراً صـافـيًـا
لـو كـانـتِ الـتـهـمـةُ أمـراً فـاشـيًـا فَـمَـنْ مـن الـوصـمةِ يُلْفَى خـالـيًـا
أأكُـلُ الـرُّشَـى حـرامـاً حـالـيًـا أهَلْ أضعتُ الرشدَ والتحاميًا
نـزهـتُ عـن هـذا الـقـبـيـحِ شـانـيًـا تُـراكَ يـومـاً كـنـت عـنـي واعـيًـا
أنّى ارتكبتُ الظلمَ والمعاصيًا أأرتـشـي مـالأ؟ أكـنـتُ الـعـاثـيًـا؟
ألا افـتـكـرْ بـذا مَـلـيًّـا تـالـيًـا وَشـهـدْ بـمـا عـايـنـتَ مـن أحـوالَـهـا

* * *

أجـابـهُ الـنـمـسُ جـوابـاً وافـيًـا كَـلاً ولـكـن لا أظـنُّ نـاسـيًـا
كـم مَـرّةٍ يـخـطـرُ لـي بـبـالـيًـا أبصرت في خطمِكَ ريشاً باقيًا
كـم عـامـلٍ راقٍ مـكـانـاً سـامـيًـا تـخـالُ لـلـزفـرةِ جـمـراً كـاويًـا
فـي صـدرهِ مـن الـزمـانِ شـاكـيًـا تـحـسـبـهُ يـمـضـي الـلـيـالِـي طـاويـا
ولـم يـجـدْ قـوتـاً لـيـوم كـافـيًـا والعلمُ عندَ الناس أضحى شافيًا

بأنهُ قد كان يمشي حافيَا وكيفَ للزوجةِ كانَ الكاسيَا

ثم نَرَى يرفعُ بيتاً عاليَا ويشترِي الضياعَ والثوانيَا

ودَخْلُهُ لِخَرجِهِ مُساويَا إنَّكَ إنْ فكرتَ ريشاً بادِيَا

في خطمهِ ممَّا نراهُ ناشيَا أوقلتَ أو صدقتَ فيهِ الواشيَا

يكونُ بعضُ الظَّنِّ إثماً غاشيَا

عَابِرَا طَرِيقٍ وَكِلاَبٌ

خِلاّنِ ضَمَّهُما الطريقُ معاً … لِحاجةٍ والظلام مُنْسَدِلُ
بينَا يخوضان في حديثهما … إذاً دَوِيٌّ وهَادَّة عَجَلُ
وصالَ كلبٌ عليهما وعَوَى … حتى تنبَّهَ غيرهُ غُفُلُ
يَنْبحنَ في إثْرِهِ وقد كرِبَتْ … تنسدُّ عمَّن يمرُّهَا السُّبُلُ
فواحدٌ منهما اختطَى ومَطَا … للصخرِ يضربُها وترْتَحِلُ
رفِيقُهُ قال خَلِّ عنكَ وسِرْ … لا ينبغي بالكلابِ تحتَفِلُ
أُعيذُ كفَّكَ أن تدلِّسَهُ … بِرَجْمِ ما لِعواتِه يَنْسلُ
أنفعُ ما أدَّبَ الكِلابُ بِهِ … تركُ اكتراثٍ كالنذل يُبْتَذَلُ
الكلبُ من طبعِهِ وعادتِهِ … يهجمُ بالنبحِ ثُمَّ يَنْفَصِلُ

* * *

وخطيًا والكلاب قد سكتت … تنظرُ في بعضِها وتنجدِلُ
وهكذا العاذلون أنذلُ ما … فوقَ الثرى يستفزُّها العَذَلُ
يستسمجون الجديدَ مخترَعاً … يستقبِحون الجميلَ يَغْتَدِلُ
لا تَألُ من سيْرَةٍ على سَنَنٍ … وذَرهُمُ يَنْبَحونَ يختذِلُوا

فارسٌ وفرسُهُ

فـارسٌ بـالأمـسِ رَبّـى عـنـدَهُ فـرسـاً يَـرْكَـبُـهُ
فـي ضـروبِ الـسـيـرِ قـد عَـوَّدَهُ كـيـفـمـا يـرغـبُـهُ
لا بـسَـوطٍ بـل بـصَـوتٍ وحـدَهُ رائِـضـاً أدَّبَـهُ
فـتَـظـنّـى ربـطَـهُ أو جَـرْدَهُ لا بـقـيـدٍ أو زِمـامْ

* * *

قـال مـالِـي وكـمـاةٌ ركـبُـوا ظهرَ خيلٍ مُلْجمَهْ
حسبُ مُهري في المسيرِ الأدبُ عـارفـاً بـالـهـمـهـمَـهْ
إنـه مُـطّـبَّـعٌ مُـدَرَّبُ فـعـلامَ الـمـشـكَـمَـهْ[1]
حَلّ عنه اللجمَ قَوداً يجذِبُ ثُمّ في الميدانِ قامْ

* * *

مذ أحسّ المهرُ في ذاك المكانْ خِفّةَ الرأس طَمَـحْ
وَدَرى أن لـيـسَ يُـثـنـيـهِ عـنـانْ عـن كـديـدٍ ومَـرَحْ
قَـبَّ لـلـغـارةِ جُـمـحـاً وحِـرَانْ بـصـهـيـلٍ ورَمَـحْ
زمجرَ الفارسُ زَجْراً وهو عَانْ مـن تُـنـادى بِـكـلامْ

* * *

لمحةَ الطرفِ مَدى البيد طَوَى غـائِـراً لَـمّـا يَـذَرْ
مـقـلـتـاهُ جـمـرتـانِ والـصـفَـا تحتَهُ يُوري الشَّرَرْ
شُـدْقُـهُ يُـزبـد عـن وَهْـجِ الـحـشَـى كَـلَـهـيـبٍ أو أحَـرْ

---

(١) المشكمة: والشكيمة هي الحديدة في اللجام توضع في فم الفرس.

يـجـهـدُ الـفـارسُ بـالـلـجـم سُـدًى — لـم يَطِقْ رَدَّ الـلِّجامَ

* * *

وظـلامُ الـنـقـعِ فـي مُـقـلـتـهِ — ثارَ عِظَى الأوجُهَا[1]
طـرحَ الـفـارسَ عـن صَـهْـوَتـهِ — جـانِـحـا مُـتَّـجِـهَـا
هـبـطَ الـهُـوتـةَ فـي ركـضـتِـهِ — عـاثـراً مُـدْهْـدِهَـا[2]
طاحَ في المهوَى على جبهتهِ — وارداً حوضَ الحِمَامْ

* * *

نـهـضَ الـفـارسُ يـجـري خـلـفَـهُ — عَـلَّ أن يُـرْجِـعَـهُ
بـيـدَ أنَّ الـمـهـرَ لاقـى حـتـفَـهُ — فـرأى مـصـرعَـهُ
نـهـنـهَ الـعـبـرةَ يـنـعـى كَـفَّـهُ — حـيـثُ لـن يـنـفـعَـهُ
قـال حَـلُّ الـلـجـمِ قـد أتـلـفَـهُ — مُـغـرِيـاً بـالاقـتـحـامْ
لـيـتَ كـفّـي لـو رُمِـي بـالـشَّـلـلِ — قـبـلَ أن أطـلِـقَـكَـا
لـو تَـرَبَّـصْـتَ عـلـى الـطـاعـةِ لـي — لـن تُـلاقـي مـهـلـكَـا
ولَـكـنـتُ الآن وسـطَ الـسُّـبُـلِ — سـالـكـاً فـي مَـهْـلِـكَـا
سـالـمـاً مـن شـرِ هـذَا الأجَـلِ — بـالـمـنـايـا لا تُـضَـامْ

* * *

حَـبَّـذا لـلـنـاسِ حُـرِّيَـتُـهُـمْ — سَـاءَ مـا يُـفـيـدُهَـا
يـتـمـنَّـاهـا نـوالاً كـلُّـهُـمْ — شَـبِـمـاً مَـوردُهَـا[3]
ورَعَـاعُ الـزمـرِ بُـهْـمٌ ضـرُّهُـمْ — إن تَـنـاهـى حَـدُّهَـا
فـبـتـدريـجٍ ومـقـدارٍ لـهُـمْ — تـنـبـغـي لا بـالـتـمـامْ

---

(١) النقع: غبار الحرب.
(٢) مدهده: متدحرج.
(٣) شبم: بارد.

فيل

دخلَ مدينةً أصحابُ فِيل * يقودون فيلهم في السُّبيل * فطارَ الناسُ إليهِ زُرافاتٍ أنهم لم يروا خلقاً من هذا القبيل * إذا جَرْوٌ ضئيل * زعم أنه يرهبُ الفيلَ هريرا * فانبرى ينبح حتى صار عليه الكلاب لَبَداً كبيرا * قالَ له مُطَهَّمٌ من الكلابِ كان اسمهُ قنبورا * إخسأ إليك علامَ تعوي العلكَ فارسُ الهَياج زُورا * يا كليبُ ألا تبيَّنت ضخامةَ الفيل جثَّةً وصغر جُرمك حقيرا * أو ما ترى يسخر بنا معاشر الأنس جمهورا * أفيرهبُ الفيل جرواً ما كاد ليكون بين الخلايق شيئاً مذكوراً * خمدت أنفاسُك تلهث وما عاقَ دَوِيُك جَرْيَ الفيلِ تأخيرا *.

فأجاب الجروُ لائمهُ وقد سَفَهَهُ كثيرا * ما أحطت بما أريد علماً ولا كنت بسببِ النباح خبيرا * أوَليسَ كُلُكُمُ يعوي سُهَيلا وزمهريرا * وينقضُّ منهما شهابٌ يرجمُ منافقاً وكفورا * الا إنَّ الأنسَ يعجبون بعظم الفيلِ ولا يلتفتون إلى ما كان صغيرا * وما جَريتُ نَبَّاحاً إلاّ ليراني الخلقُ قدامُ * ويقولَ الكلابُ ما أجْرَأَ الجروَ على الفيلِ ظهيرا * وليضربَ ذلك في الأمثالِ ويكونَ للاعتبارِ مسطورا.

بُستانيٌ وحِمارٌ

جُنَيْنةٌ لِنزهةِ النظّارِ تَشُقُّها جَداوِلُ الأنهارِ
محفوفةٌ بالوَردِ والأزهارِ مغدقةٌ بالكرمِ والأشجارِ
من سائرِ الأَعنابِ والأَثمارِ وسلطةُ العصفورِ والغربانِ
تستهلكُ الغلّةَ بالمنقارِ
فاختارَ في الحراسةِ البستانِي وحفظِها بالصوْنِ والأمانِ
لأنهُ قد كان غيرَ جانِي من غَلّةٍ كثيرةِ الأثمانِ
فعقلهُ دلَّ على الأتانِ فابتاعَها من يومهِ بالمُرتَخصْ
وسلّم الجنةَ للحمارِ
يحرسُها من طارقٍ أو منقِصْ والجحشُ قد كان أميناً مخلِصْ
ما خانَ ما مانَ ولم يستفحِصْ عن غفلةٍ لسرقةٍ يستفرِصْ
طولَ النهارِ في مكانٍ مُربِضْ لم يقتطِمْ من قِصّةٍ خضراءِ
إذ كثرةُ العَلْفِ عليهِ جارِي

***

لكنّما الأمرُ لِعَيْنِ الرائِي متضحٌ من دونِ مَا خَفَاءِ
ما نالَ عامَ الخصبِ والإمْرَاءِ صُوَيحِبُ الجَنّةِ من ثَرَاءِ
لجهلِ ذاكَ الجحشِ في الأشياءِ وعدمِ العِرفانِ بالإدارَهْ
وطاحتِ الثمارُ بالبَوارِ
فَأَصْبَحَ البستانُ كالكُوارَهْ عُشّا لأطيارِ السمَا الطيّارَهْ
وكلُّ طَيرٍ مُعْمِلٌ مِنقَارَهْ بِقُولُهُ أَعنَابُهُ ثِمارَهْ

شنَّت عليها كلُّ ساعٍ غارَهْ تهرسُها كالجحشِ دوسَ النعلِ
ما تركت أوراقَ عرقٍ طَارِي

لمّا رأى صاحبُه ذو العَقْلِ ما نالَ ذاك العامَ أَجْرَ المثلِ
من عنبٍ فاكهةٍ أو بَقْلِ بادرَ في الحالِ لِسُعُفِ النَّخْلِ
تَشَفِّياً بالضربِ ضربَ القتلِ من ظَهْرِ ذيّاك الحمارِ الناهقِ
الأبلَهِ المسبِّبِ المضارِ

فَمشتِ الجيرانُ بالجحشِ الشقِي والكلُّ قالوا ذا جزاءُ الأَحْمَقِ
مستوجبٌ للضربِ ممَّن لا يَقِي جِلداً ولا يُبقى عليه ما بَقِي
أَهَلْ حِمارٌ جازَ يوماً يرتَقِي لمثلِ هذا من جليلِ المنصِبِ
أمْ خَطْبٌ يَسْحِلُهُ للدارِ

لقد فهمتُم من كَلامِي أربي وللحمارِ لم يَكُنْ تعصُّبِي
هلباجةٌ أحمقُ حيوانٍ غَبِيْ قد نالَ بالحقِّ جزآءَ المذنبِ[1]
لكنَّ حُكْمِي بالتزام الأدبِ الذنبُ أيضاً للذي وجَّهَهُ
يحرسُ بُستاناً من الأطيارِ

---

(١) هلباجة: الأحمق الضخم الجامع كل شر.

قِسْمَةٌ

دونكم عني وثيقا خبرًا تهتدُوا في ظُلُماتِ الحُندُسِ[1]
بَلْغَتْنِيهِ ثقاةٌ سمرًا في سَمَرْقَنْدٍ وفي أندَلُسِ

عُصبةٌ من معشرِ التجارِ قَدْ
عقدوا شركتَهم واتفقُوا
نصبوا للشغلِ في جَدٍّ وكَدْ
كَلَّلَ الجبهةَ منهم عَرَقُ
غنموا الأموالَ رِزْقاً لا يُحَدْ
وأتى الوقتُ لكي يفترقُوا

* * *

فتحوا يومَ الحسابِ الدفترَا لاقتسامِ الربحِ نقداً ونَسِي
أينَ من يقتسمونَ البِدَرَا بالرِّضا كالصاحبِ المحترسِ[2]

بيدَ أنَّ القومَ لما اجتمعوا
للتقاضِي النقدُ عندَ الحافِرَهْ
بخصامٍ وجدالٍ شرعُوا
ما يكادونَ ليدروا آخرَهْ
وإذا من خارجٍ قد سمعُوا
يا لَقومي النارُ وسطَ الدائِرَهْ

---

(١) الحندس: الظلمة.

(٢) البدر: جمع بدرة وهي الكيس الذي يوضع فيه الذهب.

فَلْيُبادِرْ هرباً من قدرًا في الفرارِ اليومَ مَخْيَ الأنفسِ
إن تَرَبَّصتُم فحتفٌ قُدِّرَا بحريقٍ هجمةَ المفترسِ

قال دهقانٌ ألا قوموا بنا[1]
لنرى في دارنا ما قَدْ ألَمّ
صاحَ منهم واحدٌ قبلُ أنَا
أبتغي من بينكم ألْفِي الأصَمّ
هتفَ الآخرُ ألفانِ لنَا
طالما لم تُعطَ لم أنقلْ قَدَمْ

وانبري الرابعُ زجراً زمجرَا أيُّ شيءٍ تدَّعي يا مَقْدِسِي
هكذا خصمُ حسابٍ ما جرى قَطُّ للتجارِ أو في المجلسِ

* * *

ونسوا النارَ التي تشتعلُ
تقضمُ البنيانَ في أسرعِ آنَ
بينما يُلهى نُهاهُم جَدلُ
عبقَ الدخنةُ في ذاك المَكانْ
لَقَفَ الأنفاسَ منهم أجَلُ
فجأةً فانجدَلُوا صَرْعَى الدُّخَانْ

ولهيبُ النارِ من فوقِ الثَّرَى دُفَعاً يسبقُ مجرَى النَّفَسِ
ما لهُم جثمانُهم باتت قِرَى ووُقُودا كالغضا للقَبَسِ[2]

* * *

---

(١) دهقان: تاجر.

(٢) القبس: النور المتوهج.

هـذهِ الـعـبـرةُ كـانـت فـي زمـانْ
فـلـيـكُـن مُـتَّـعِـظـاً مـن سَـمِـعَـا
رُبَّ ضَـرٍّ يَـتـأَتّـى وهَـوَانْ
فـي عـظـيـمِ الأمـرِ مـن أنْ يـنـفـعَـا
حـيـنـمـا يـخـتَـصُّ خـيـرَ الـذاتِ جَـانْ
وحـدَهُ أثـمـارَ ربـحٍ طـمـعَـا

يلزمُ الحادِي وقُوفا في السُّرَى		عـنـدَ حـدِّ الـعـارفِ الـمـنـتَـطِـسِ
تَعِسَ البادهي خصاماً في الوَرَى		تـعـسـةَ الـفـارِسِ كـبـوَ الـفـرسِ

فِيرانٌ

رَوَوْا عـن فـارةٍ هـرعـت لـفـارٍ ... على ظهر السفينِ ثوت كمينَا
بـكُـبراهـنَّ يـا غـوثـاهُ صاحت ... دهـتـنـا محـنـةٌ لـو تـعـلـمـينـا
فقالت ويحَ نفسِكِ أيُّ خَطْبٍ ... لقيـتِ من البـلاءِ فـخبِّـريـنَـا
مياهُ البحر تمرقُ من مسامٍ ... وقـد مـلـئـت قـرارةُ أسـفـلـيـنَـا
وفاضَ الماءُ حتى مَسَّ عنقي ... يـفـورُ ألاَ انْـحَـذَرْتِ تـنـظـريـنَـا
ولـكـن قـلَّـمـا بَـلَّـتْ حـفـاهـا ... ولـو صدقت لأخبرتِ اليقينَا
أيـا اخـتـاهُ مـا هـذا عـجـيـبٌ ... وأن الـقـوم بـاتـوا غـافـلـيـنَـا
أرى الـرُّبَّـانَ خـامَـرَهُ خُـخُـورٌ ... صـريـعـاً أو أخـالُ بـه جـنـونَـا
وسـآئِـرهـم فـكـلٌّ ذو تـوانٍ ... وشـرٌّ مـن أخـيـه مُـمـهـلـيـنَـا
ولا تـرتـيـبَ فـيـهـم أو نـظـامٌ ... ورأيـاً واحـداً لا يَـتـبـعـونَـا
جمعتُ قُوايَ حتى اشتدَّ عزمي ... وقبلَ هُنيهةٍ صَخصَختُ حينَا
أهـبـتُ بـهـم أُحَـذِّرُهُـم هـلاكـا ... لأنـتُـم في الـعـبابِ لـمُـغْـرَقـونَـا
وبـالـغـتُ الـنـصـيـحـةَ لـلـتـوقّـي ... وهـيـهـاتِ الـصـحـاةِ فـيـسـمـعـونَـا
كـأَنَّ حـديـثَ إفـكٍ أفْـتَـريـهِ ... لتهويلٍ وظنوا بي الظنونَا[1]
إذا تـأتِـي الأسـافـلَ تـسـتـبـيـنِـي ... زَهَـا سـاعٍ مـنـيـتُـنـاً تـلـيـنَـا
ونحن علاَمَ إثْرَ القوم نمضي ... وهَـا بَـرٌّ وسـكـرَى لـيـس فـيـنَـا
متى نهربْ نَفُزْ ونَقرُّ عـيـنـاً ... وفي الـهَـرَبِ الـنـجاةُ لِمُـذبِـرِينَا

---

(١) إفك: كذب.

فألقى بالنفوسِ الفارُ قذفاً	لِلُجِّ البحرِ مثلَ السابحينَا
ورحنَ صاعداتٍ هابطاتٍ	وشتّان البُرُوزُ وأينَ مينَا
وغُمرنَ بعضَ هينٍ حتى خارت	قِواهُنَّ اختنقنَ وما رُوِينَا
وأمّا سفينُنا من حيثُ أمست	مطيةَ ماهرٍ درسَ الفنونَا
فقد بلغت ولَمّا تلقَ سُوْأً	بِلَمْ الشعثِ مرساها الأمينَا
فسَلْهم صاحبي الملاحُ أنّى	يُقيم وأينَ قولُ القائِلينَا
وأينَ تَمُرُّقُ الأمواهِ رشحاً	إلى جَوفِ السّفينِ كما روِينَا
وأينَ الوهنُ أو كَسلُ النواتي	أشاعوا القولَ بُهتانا مبينَا[1]
قليلُ الماءِ فاض فنزّحوهُ	وباقيهِ نميمةُ حاسدينَا

(١) النواتي: جمع نوتي: البحّار.

قِردٌ ونظارة

قِردٌ على الأزمانِ أعياهُ الكِبَرْ — وساءَهُ من وَهْنِهِ ضعفُ البَصَرْ
بلغه فيما مضى من النفَرْ — دواءُ هذا الداءِ فيهم مشتهَرْ
بآلةِ الزجاج تحديقَ النظَرْ — فابتاعَ نظارات بَلُّورٍ أغَرّ
مجرّباً أحسنها للمختبَرْ — في رأسه يضعها كما ائتمَرْ
ثم على ذُنَيْبِهِ إذا اسبَكَرْ — وكان هذا دأْبُه وما ظفَرْ[1]
بما تمنّى نفعَه ولا شعَرْ — حتى اعتراهُ اليأس من فرطِ الخَوَرْ
ألقى بها يقول موفورَ الكدَرْ — أحمقُ من صدّقَ أقوالَ البشَرْ
مديحهم كذبٌ نفاقٌ وهذَرْ — صَدَّقْتُهُمْ بذا فكنتُ المغتَرَرْ
ضربها ضرباً شديداً بالحَجَرْ — بَدَّدَها على الثرى شِذَرْ مِذَرْ[2]
وقد فشا هذا الخطاءُ وانتشَرْ — في الناسِ من أفعالِهم على غَرَرْ
فكل شيءٍ نافعٍ له خَطَرْ — عندَ الذي يَجْهَلُهُ لمحتَقَرْ
لا قدَّرَ اللهُ جهولٌ إن قدَرْ — في فرصَةٍ يُكافِىءُ الخيرَ بِشَرّ

(١) اسبكر: وقف.

(٢) شذرمذر: نتفاً نتفا.

طبّاخ وقطٌ

طَاهٍ بمقدارِ ما يكفيهِ خُوّلَ من قراةِ الكتبِ كتبِ الطبخِ مأمُولا
قد كان يقرأها إتقانَ صَنْعَتِهِ حشواً وشيّاً وتلويناً وتتبيلا
وليلةً مّا مضى يقضي لُبانتَهُ في حانةٍ بإبنةِ العنقودِ معلُولا
بِنَقْدِ مولاته قد راحَ يشربُ أم بوَعْدِهَا كان هذا الأمرُ مجهولا
فاستودعَ الزادَ لما راحَ يحرسهُ من دبّةِ الفارِ قُطُّ الدارِ «بَمْبولا»
حتى قضى حاجةً من نفسهِ وأتى يعودُ مطبخَه فاختارَ مذهولا
إذ عاينَ الخزفَ الصيني منسحقاً فوقَ الحضيضِ وللأقدامِ مبذولا
والقطُّ منعزلاً في جنبِ خابيةٍ يَهِرُّ يكتدمُ الفَرُّوجَ مأكولا
فقال قد حقَّ يا بمبولُ تُشْنَقُ عن فعالِك اليومَ كالقنديلِ تنكيلا
أما تعِي ترعوي أو تختشِي حَرَجاً أو تستحي أن تراكَ العينُ مرذولا

* * *

لكنْ بمبولَ لمْ يتركْ دجاجته قَرطاً وبلعاً سَريعاً كان مشغولا
فلجَّ في عذلهِ الطّاهِي يُعنّفُهُ وقال قد صرتَ يا بمبولُ مخبولا
وهذهِ الفعلةُ الشنعاءُ قاضيةٌ على اجترامِك يا مجنونُ تخذيلا
اليومَ سخريّةَ الجيرانِ صرتَ ومن قبيلِ ذا كنتَ للمعقولِ تمثيلاً
جمعتَ عاراً رأسِي يُعيّرني قومٌ حواليَّ ذنباً منكَ مفعولا
فهم يقولونَ هذا سارقٌ لُكَعٌ على الخيانةِ طبعاً راح مجبولا[1]

(١) لكع: وسخ القلفة.

بل ليس بمبولُ إلاَّ شرٌ مفترسٍ تعساً وبُعداً له ذِئباً ودُؤلُولا[1]
ما جازَ ابقاؤه قصداً لمنتَفَعٍ في الدارِ من يرتضي سكناهُ والغُولا

* * *

بمبولُ قد كان يُصغي للمقالِ ولم يَألُ عن الأكلِ إمعاناً وتعجيلا
وظلَّ يلهثُ ذيَّاكَ الفصيحُ وقد أعيَى ولم يستفِدْ قالاً ولا قِيلا
القطُّ قد أكلَ الفرُّوجَ أجمعَهُ حتى تَلَحْوَسَ من آثارِهِ الأولَى
لو كنتُ إذ ذاك بعضَ الحاضرين فَلِي نصحٌ تَقَرِّطُهُ الآذانُ مقبولا
رَأْيِيَ ليقتصرِ الطباخُ خطبتَهُ طويلةً وَلْيُبادرْ باليَدِ الطُّولَى

(١) دؤلول: دويبة صغيرة.

دَنّانِ

وفي حديثِ الرُّقاقِ دَنَّان خَرَجا في طريقٍ يترافقان، على مركبتينِ متكئان، أحدهما فارغٌ والآخر من الخمرِ ملآن، فأما الممتلىءُ فكان يسير على المركبةِ المتقدِّمة لا يلتفت ميمنةً ولا مشأمة، وأما الفارغ يلتبط ويختبط فكان كَمَنْ به جان وينصرع كالسكران وينتفض كالولهان مضطرباً لا يهدأ في العيان، لقد عرف المعتبرُ أنَّ في ذي الهدو المنفعَه وأن المضطرب لا خير فيه وما كاد ليحوي شيئاً معه كذلك كلُّ امرءٍ أطنب على نفسهِ فرأسه فارغٌ من النهى، والرصين هو الذي يسعى ساكنا في حوائجهِ حتى يبلغ المنتهى.

فارَةٌ وجُرذٌ

فـارةٌ جـأت سـريـعـاً جـارهـا جُـرُذاً مـسـتـوكـراً فـي طـبـقَـهْ
بـلَّـغـتـهُ وهـيَ فَـرْحَـى خـبـراً ذاع عـن فـيـرانِ بـيـتِ الـنـفـقَـهْ
بـينَ رَهْطِ القُطِّ والضِرعام قد نَـشَـبَـتْ حـربٌ كـنـارٍ مُـحْـرِقَـهْ
ثـم قـالـت وَنَـجَـوْنَـا كـلُّـنـا من عـدوِّ الـجـنسِ شرِّ العَقَقَهْ
فـأجـابَ الـجـرذُ لا تَـنْـخَـدِعِـي مـا زئـيـرُ الأُسْـدِ إلا شَـقْـشَـقَـهْ
قـبـلَ أن يـلـتـقـيَ الـبـرثُـن بـبـرثـنِ الـغـلأبُ مـن ذا حَـقْـقَـهْ
أشـبـهُ الـقـطُّ سـبـعٌ كـاسـرٌ في الـوحـوشِ الـضـاريـاتِ النزِقَهْ
هـذهِ الـعـبـرةُ تـأكـيـدٌ لـمـا قـد سـمـعـنـاهُ عـن الـمـرءِ الثّقَهْ
إنَّ مـن يـرهـبُ خـوفـاً مَـرَّةً يَـحْـسَـبُ الـدنـيـا عـلـيـهِ مُـطْـبِـقَـهْ

ذئب ورعاة

دَفَعَ الجوعُ والدُّجَى الذئبَ حتى أن تـدانى إلـى سـهـولِ الـبـقـاعِ
طـارقـاً لـحـظـيـرةٍ نـاظـراً مـن نُقْبِ صـخـرٍ يـلـوح ضـوءُ شـعـاعِ
فـرأى الـغـنـمَ الـمـسـاكـيـنَ والـسكّـيـنَ فـي كـفٌ حـاسـرٍ عـن ذراعِ
يذبحُ الـحـمَـلَ الـسـمـيـنَ ويُـلـقـي للعَرَى الكِرْشَ والمِعَى في القَفاعِ
والـكـلابُ روابـضٌ ونـيـامٌ لا تـذبُ ولا بـنـبـحٍ تُـداعِـي
فـقـضـى عـجـبـاً وولّـى كـئـيـبـاً خـائـبـاً مـن مـرامـهِ والـمـسـاعِـي
قـائـلاً يـا كـلابُ كـم تـنـبـحـونـي لـو تـصـديـتُ مـثـلَ هـذا الـراعـي

صيدُ الأسد

لـيـثٌ وذئـبٌ وثـعـلَـبْ وكـلـبُ صـيـدٍ مـجـرِّبْ
تـشـاركُـوا بـإتـفـاقٍ في الصيدِ من كلِّ ما دَبّ
وإن يـكـونُـوا جـمـيـعـاً والـكـلُّ يـسـعَـى ويـتـعـبْ
تـشـارطُـوا بـالـتـسـاوِي قَـسْـمـاً بـعَـقْـدٍ مـرتَّـبْ
فـراحَ أولَّ يَـومٍ ثُـعـالـةُ اصـطـادَ أرنـبْ
دعـا الـرفـاقَ إلـيـهِ وبـالـشـروطِ تـدرَّبْ
لـيـقـسـمـوهُ رِبـاعـاً ما بينهمْ سَدٌّ مسغَبْ(١)
فـجـرَّهُ الـلـيـثُ حـتـى بـه الـبـراثـنَ أنـشَـبْ
بـالـغـدرِ حـمـلـقَ فـيـهِـم وشـقَّـهُ يَـتَـغَـضَّـبْ
وقـال إنـي عـلـيـكـم أقـسِّـمُ الـصـيـدَ ارغـبْ
هـذا لأوَّلِ قِـسْـمٍ بـالـشـرطِ لـي قـد تـرتَّـبْ
وذَا نـصـيـبـي لأنـي لـيـثٌ مـلِـيـكٌ مـرجَّـبْ
وذلـكَ الـقِـسْـمُ بـاقٍ يـنـالـهُ مـن تَـطَـلَّـبْ
ومـن تـقـرَّبَ مـنـهُ يـطـيـحُ رأسـاً ويُـعْـطَـبْ

(١) مسغب: الجوع.

صافِرٌ وفَرخُ حَمامٍ

صافرٌ ألقى بهِ قَدَرٌ وسطَ شَرَكْ
عُزقِلَ المسكِينُ ما وَثَبَ ازدادَ سَرَكْ
حائرٌ في أمرِهِ كلَّما قامَ بَرَكْ
وحمامٍ فرخُهُ سادجَ القلبِ حَرَكْ
قال وَهْوَ ضاحكٌ هاتِ أُنقُلْ خَبَرَكْ
في نهارٍ واضحٍ ما يُغشِّي بصرَكْ
وعليكَ العارُ كما لعُمي فخٌّ قهرَكْ
ليتَ تدرِي أنَّني أتوقى خطرَكْ
ما أنا يخدعُني شَبَكٌ قد أسرَكْ
بينما يزهُو هَوَى بقَضاءٍ لدرَكْ
لا لَعاً لعاثرٍ بشَماتٍ وتَرَكْ[1]

(١) لا لعاً: لا لعنة.

ذئبٌ وهزارٌ

سَئِم الذئبُ واستطارَ القرارَا ... مزعماً هجرةً يبدُلُ دارَا
وانثنى للوداعِ في الغابِ حتى ... جَاءَ تلاً رأى عليه هُزارَا
قالَ عِمْ يا أخي الهزار صباحاً ... أتركُ اليومَ معشراً أشرارَا
ما لَهُمْ لا أبَا لَهُمُ أعدموني ... راحتى وحَمَوا عليَّ القِفارَا
ونظيرُ الأقوام حَولى كلابٌ ... غُضُفٌ كالأسودِ هاجت زِآرَا
سلَبوا في مغائرِ الغابِ طرّاً ... حيثما كنت من جفوني الغِرَارَا
كنْ كما تشتهي ولو مَلكاً لم ... تستطِع بينَ هولاءِ اصطبارَا
أينما تستقمُ تَذُقْ طعمَ ضربٍ ... يطحنُ العظمَ دامياً تكرارَا

* * *

فأجابَ الهزارُ سِرْ آمِناً في ... سِربِكَ الرحبِ بل وقيتَ العثارَا
أتُرى بالغاً بُلَهنيَةً في ... بقعةٍ تتجشمُ الأسفارَا(١)
أينَ تذهبْ تَجِدْ هناكَ فِئاماً ... ما همُ الصالحينَ والأبرارَا
فإذا كيف تقتضي العيشَ رغداً ... ومَنِ المستريحُ أيانَ صارَا
قال أسعَى لأرضٍ أرامَ حَجّا ... رحت عنها مستطلعا أخبارَا
تلكَ ذاتُ العُمادِ شِيدَت قصورا ... لُؤلؤاً وزبرجداً ونُضارَا
في الثّرَى العسلُ المصفّى جرَى مع ... لبنٍ متدفّقٍ أنهارَا
هَكَذَا الكوثرُ القَرَاحُ وخمرٌ ... سال ينصاع جَدولاً جرّارَا

---

(١) بلهينة: سعة العيش.

وتَرَى الناسَ كالثريّا اجتماعاً أخواتٍ وأُخْوَةً أطهارَا
كلُّهم كالخِرافِ يَرْتَعْنَ روضاً فائح العرفِ مطلعاً أزهارَا
إنْ على الأرضِ جنّةٌ فرباها لا فسوقٌ ولا جدالٌ جِهَارَا
لا تعضُّ الكلابُ تُشْلَى ولكنْ تحسبُ النبحَ ثمَّ إثماً وعارَا
كلُّ ما قد وصفتُه لك باتت مقلتي في الكَرَى تراهُ مِرارَا
ما اعتذارِي إذا تقاعدت عنها جَنَّةٍ لم ينلْها كِسرَى ودارَا[1]
عمرك اللهَ اعفُ عن هَفَوَاتي أحْسِنِ الظنَّ فيَّ إزِعَ الجِوَارَا
إنني لَهُناك أقضي حياتي طائفاً عاكفاً دُجًى ونهارَا
بركاتُ الإلهِ تسقى ثراها بلدةٌ أُنْسُها يُضِي أنوارَا
تشتهيها النفوسُ في كلِّ فجٍّ وإليها الركبانُ تحدو مزارَا
وَلِبئسَ المَهَادُ بقعتكُم من مِدَرٍ وقرى وساءت قرارَا
حيثُ لا راحةٌ لحيٍّ عليها قاعداً قائماً ثَوَى أو سارَا
فأجابَ الهُزارُ هل أنتَ مُلْقٍ عنكَ أنيابَك الحدادَ الكِبَارَا
أفَأُلقِي الأنيابَ هذا مَحالٌ إنْ فعلتُ إذاً أصيرُ حِمَارَا
إزْعَوِ واعتبرْ بنُصحِ خبيرٍ شبَّ بل سابَ دَاهِياً مستشارَا
طالما بالأنيابِ تمشي فهم لن يَذَرُوا فوق ظهرِكَ الأوبارَا
امْرُؤُ السوءِ لا يزال ضجوجاً لم يُوافقْ في موطنٍ أخيارَا

(١) كسرى ودارا: من ملوك الفرس.

سحابٌ

في حَرِّ هاجرةٍ مَرَّ السحابُ على أرضٍ شرَاها من الرَّمْضَاءِ يَضْطَرِمُ
وراحَ يسعى على ساقٍ بلا قدمٍ للبحرِ فانهلَّ فوقَ اللُّجَةِ الدِيَمُ[1]
لـمَّا تـعـاظـمَ قـدَّامَ الـرُّبَى كـرمـا بـجُـودهِ ونَـداهُ قـالـتِ الأكَـمُ
لهفي عليكَ لإحسانٍ يضيعُ سُدىً هَلاَّ على التربِ كان الغيثُ يَنْسَجِمُ
لو صُبَّ في الأرضِ جُود الجَودِ يشبعُها من جوعِ مَجدبةٍ يُنفَى بهِ العَدَمُ
الوِرْدُ إن كان للحيوانِ من لججٍ فلبس يحتاجُك الإنسانُ والبُهُمُ

(١) الديم: السحب والغيوم الماطرة.

غرابٌ وثَعلبٌ

كم خطيبٍ وعالِمِ لم يَزَلْ يُنذِرُ المَلاَ
أيها الناسُ لستمُ تعلمون بما البَلا
بِئْسَما الفخرُ والمِرَا للمعراتِ مدخلاَ
أولِعَ الناسُ بالثنا ما رأوا عنهُ مزحلا
سرُّهم مدحُ كاذبٍ للخداعِ تحيُّلا

* * *

قيلَ أن الغرابَ في يومِ سعدٍ له اجتلَى
نال حظًا مكلَّبا قُرصَ جبنٍ به اعتلَى
وإلى غصنِ دوحةٍ في فلاةٍ تحوَّلا
هَمْ في سَدِّ جوعهِ بالتأنّي ليأكلاَ
وَهْوَ لم يرضَ قَطُّ أنْ يُفنيَ الجبنَ مُعجِلا
إن ذا الصيدَ نادرٌ قَلَّما قد تحصَّلا

* * *

فإذاً ثعلبٌ على ريحةِ الجبنِ أقبلا
شاهدَ القُرصَ أبيضاً لذَّةَ الذوقِ مأكلا
إنما الخطفُ كان من متنِ الطيرِ مُشكلا
فتدلَّى بحيلةٍ لينالَ المُؤمَّلا
وتجاهَ الغرابِ جا شاخصَ الطرفِ للعُلَى
خَصَّ مكراً رُئَيْسَهُ وذُنَيْباً مُقَلْقَلا

قال سبحانَ من بَرَا ... ذا الغرابَ المكحْلا
كاملَ الوصف قامةً ... هامةً منسراً طُلا
كلُّهُ الخالُ صبغةً ... وشباباً تغلغلا
طارَ عقلي عليك بلْ ... صرتُ بالعشقِ مبتلَى
وحياتي لك الفِدَا ... لو تُغَنِّي مرتِّلا
تزدري النأيَ نغمةً ... وهزاراً وبلبلا
إن يكنْ صوتُكَ الرخيـ ... ـمُ لِحُسْنِ ممثّلا
فَلَكَ المُلْكُ في الطيو ... رِ وفي الوحشِ مجملا
وعلى ذاك كلُّنا ... باتَ حتماً مُعَوِّلا

* * *

فاستفزَّ الغرابَ في ... الحالِ للنغبِ مِقوَلا
مذ تبارى لِنَغْقَةٍ ... أفلتَ القُرصَ مُنْزَلا
وقضى اللهُ حاجةَ ... الثعلبِ المُظهِرِ الوَلاَ
فتلقاهُ مَغنماً ... وعدا ماضِياً إلَى
مدبراً مثل فارسٍ ... فرَّ جُبناً مهرولا
تاركا ينعبُ الغُرا ... بُ على الجبنِ مُعْوِلا

حُوتٌ وسِنَّوْرٌ

تعساً لنعلٍ تكونُ يَخْصِفُها طاهٍ وفالوذِ اسْكَفٍ صُنْعَا
حَذَارِ من ورطةٍ تشبَّطُكُم قد قلتُ أَلْفاً ومن يَعي سَمْعَا
وكم تهوَّرَ للتكبرِ من قومٍ فَضاقوا بما أتوا ذَرْعَا
وأفسدوا غيرَ مصلحين وقد زاغوا أضاعوا عنِ الهُدى نفعَا
واستهزأ الخلقُ من تَجَزْهُمِهِمْ خِزياً مقاماً وخيبةً رُجْعَى
ما اتَّعظوا بكلامِ ناصحِهِمْ إن يسبرُوا غورَ شأنِهم وُسْعَا

* * *

رَوَوا عن الحوتِ ظنَّ يصطادُ كالسِّنَّورِ فاراً بنقفَةٍ بَلْعَا
وذا لإغراءِ غادرٍ خَنِقٍ أو اغترارٍ أو غيرةٍ بدعَا
أوْ سأماً للبحارِ أو قَرَماً لِلَّحمِ واحكم بما تشا قَطْعَا
وطارحَ الهرَّ أن يعلِّمَهُ أسلوبَ صيدِ الجرذانِ والصَّرعَا
أجابه الهرُّ ليتَ شعريَ هَلْ تُحيطُ علماً بما لَهُ تَسْعَى
أخشَى عليكَ البوارَ فاعْتَبِرَنْ بِمَثَلٍ سار في الورى جمعَا
كلٌّ مهارتُهُ بحرفتِهِ مما يلائِمُ خلقَهُ طَبعَا
والحوتُ ما الجرذُ قالَ تزعمُ كم أسماكُ بَحْرٍ صرعتُها سفعا

* * *

وانطلقا نحوَ غارِ مجرذةٍ تَخِذَهُ الفارُ في الفَلا رَبْعَا
فالهرُّ من بعدما قضَى أرَباً دَنا رأى الحوتَ مدنفاً نزعَا
محشرِجاً غَشِي الظلامُ على عينيهِ والجرذُ ذيلَه تَرعَى

درى الشجاعُ الذي يرافقهُ شجاعَ صيدِ الجرذانِ لا يُدعى
صوناً لأنفاسهِ تَراءَفَ إن يجرُّهُ وارداً به نبعَا
فقال زُخْ فتعلَّمِ الصيدَ للفيرانِ ما هو قبل أن تُنعَى

قِرْدٌ

ما استطعتَ من كَدٍّ وجهدٍ إجْهَدِ   لا تأملَنْ مدحاً لفرطِ تَجَلُّدِ
ما نالَ مجتهدٌ ثناً إلاّ على   نَفْعٍ وأمرٍ مطربٍ في مَشهدِ

* * *

فأجيرُ كرمٍ كلَّ يومٍ لَجَّ في   عملٍ على التعبِ المبرّحِ يغتَدِي
منذُ الصباحِ مُشَمِّرٌ حتى الدجى   بالفاسِ أو بالفرشِ يعملُ باليدِ
يثني عليه من يراهُ مقيَّداً   في شغلِهِ من مُتْهِمٍ أو مُنجِدِ
وهناكَ قردٌ غارَ حين سماعِهِ   مدحَ الأجيْرِ غيرةً لم تُحمَدِ
فَأَكَبَّ يهجسُ أن ينالَ المدحَ في   عملٍ كفعلِ المرءِ لم يَتَبَلَّدِ
فأصابَ مِنْسأةً وراحَ كأنَّهُ   الخُذرُوفُ في وَثَبَاتِهِ لا يهتدِي(١)
مُتأبِّطا يجري بها أو حاملاً   مُتقلِّباً زهواً بأنواعِ الدَدِ(٢)
والقِردُ من عرقٍ تصبَّبَ عَنْدَماً   مستهلِكٌ غَرَقاً بكدٍّ مُجْهِدِ
ويَوَدُّ أن يبدِي الغريبَ بفعلِهِ   حوزَ المديحِ ولم يَنَلْ من مَقْصِدِ

* * *

فلذاكَ لا تعجبْ إذا ما لم تَكُنْ   للجَهْدِ معروفَ المقامِ الأحْمَدِ
وإذا اشْتَهَيْتَ المدحَ مفتخراً بهِ   كنْ نافعاً للناسِ يَا ذعا المَسْنَدِ

---

(١) الخذروف: البلبل، لعبة صغيرة من خشب تدور حول مسمار.

(٢) الدد: اللعب.

صَرْصَرٌ وفتى

ربما لا يفلحُ الواشي ولا ... حظُّهُ يُسْعِفُهُ نيلَ المنى
كلُّ من أسلمَ بالغدرِ امرءاً ... كان ما بينَ الملا مُسْتَهْجَنا
لم يكذ يَغْتَدُ إثماً مَكْرَهُ ... يوقظُ الفتنةَ شرّاً بَيْنَنا
باتَ أدنى للمنايا مصرعاً ... وكفى باللهِ وَهْوَ حسبُنَا

* * *

في ربيعٍ مَّا حَكُوا عن صرصرٍ ... رَبُّ بستانٍ أتى مُستأذِنَا
ضارعاً يُعطيه في بُستانهِ ... عامَهُ صيفاً ربيعاً مسكِنَا
آلياً لا يتأتّى ضررٌ ... منهُ للدوحِ ولا يُغذى جَنَا
بلْ يمصُّ الورقَ الذابلَ لا ... غيرَ مما كان شيئاً هيِّنا

* * *

فأجالَ الفكرَ في تَسْآلِهِ ... صاحبُ الجنةِ مهما أمكنَا
لم يجدْ فيما تمنَّاهُ أذىً ... فارتضاهُ بقبولٍ محسِنَا
قال هذا صرصرٌ أنّى ثوى ... لم يضقْ بستانُنا يوماً بِنَا
أيُّ خُسرانٍ وضُرٌ كان من ... وَرَقٍ يغذاهُ إن أمسى هُنَا
فأنا أتركُهُ يرتعُ في ... رَحَبَةِ البستانِ رَغْداً موطِنَا

* * *

ومضى الصرصرُ يسعى فاستوَى ... فوقَ جذعٍ مُستريحاً من عَنَا
والرُّبَى قد أخذت زُخْرُفَهَا ... نرجساً رَنْداً شقيقاً سُوسنَا
والأفانينُ ازدهت كاسِيَةً ... حُللاً من زهرِها باهي السَّنَا
والكُمَثْرَى أينعت تبدُو كرجْراجٍ قُرطٍ من يدِ الجاني دنَا

وغدا المشمشُ كالدينارِ أوْ	أُكْرَةٍ من كَهْرِباءٍ حُسُنَا
واجتلى التفاحُ خدًّا أحمراً	فوقَ عُنقِ الغصنِ يَسْبِي الأعيُنَا

* * *

وإذاً أقبلَ كالظبيِ فتًى	يرقبُ الدوحَ ويرنو أرَنَا(١)
حارَ أنّى يجتنيها هُوَ لاَ	قادرٌ للقطفِ يرقَى الغصُنَا
لا ولا يستطيعُ في قوتهِ	ينفضُ الساقَ غليظاً عَطَنَا
كلّما جدَّدَ فيها نظرةً	جدَّدتْ في القلبِ لهفاً شَجنَا
وعلى السرقةِ مَنْ عونُ الفتى	كانَ إلاَّ الضيفُ ذا صرصرُنَا

* * *

يا فتى قالَ أتدري في غَدٍ	شجرُ التفاحِ قطفاً يُجتنَى
والتي هِمْتَ بها تُفّاحةٌ	لم يَنِلْها فُوك أو فيَّ أنَا
فَأَعِذْني عُشرَ ما تَأْخذُهُ	وقِدِي قِسماً لقوتٍ زَمَنَا
والفتى أمضى لهُ العهدَ كما	راحَ منهُ يترجّى مِنَنَا

* * *

زحَفَ الصرصرُ لا يألُو منَ	الجهدِ في قرضِ مَناطٍ واعتَنَى
وإذا التفاحةُ الحُسْنَاءُ قد	سقطت في برهةٍ طبقَ المُنى
ذلِكُمْ ما نالَ من إسقاطِها	غيرَ بُؤسٍ وشقاءٍ وعَنَا
والفتى غارَ على لَقْطَتِها	طُعْمَةٌ يَغْنَمُها أكلَ الهنَا
وأتاهُ الصرصرُ الساعِي وقد	قال أوفِ العهدَ شَرطاً بَيْنَنَا
فالفتى طوَّحهُ في دوسةٍ	قطّعت أوصالَهُ مُمْتَهَنَا
وعلى ما مَرّ لا تُفاحةٌ	سَلِمَت أو صرصرٌ باقٍ هُنَا

---

(١) أرنا: طمعا.

عجوزٌ وجاريتاهَا

عـجـوزُ دارٍ خَـبَّـهْ بَـربـارَةٌ صُـخُـبَّـهْ
أخـلاقُـهـا أنـكـدُ مـا في الخلقِ وَهْيَ النكبَهْ
تُـخَـاصِـمُ الـرجـالَ و الـنـسـاءَ بـالـمـسَـبَّـهْ
مـا يـومُ راحـةٍ لَـهَـا لَـهـواً ولا فـي حُـقـبَـهْ
جـاريـتـيـنِ مـلـكـت كِـلـتـاهـمـا خِـدِبَّـهْ[1]
لَـزَّتـهُـمـا أن تُـبْـرِمـا بـالـفـتـلِ غـزلَ الـكُـبَّـهْ
منذُ الضُحى حتى الدُّجى مُـثِـنـيَـتَـانِ الـرُّكـبَـهْ
في الندفِ والغَزْلِ وفي حِـيـاكـةٍ بـالـنـصـبَـهْ
مـكـدودتـانِ خِـشـيَـةً مـن شـرهـا لا رغـبَـهْ
وكـلَّ يـومٍ غَـلَـسـاً تـأتـيـهـمـا كـالـضَّـبَّـهْ
لـلـشُـغْـلِ تُـوقِـظُـهُـمـا بِـصَـيْـحَـةٍ أو دَبَّـهْ
لِـشـدةِ الـجـهـدِ بـمـا تـعـجـز عـنـه الـدُّبَّـهْ
مـا مَـسَّ أعـيُـنَـهـمَـا نـومـةُ صُـبـحٍ رهـبـهْ
والـحـيـزبـونُ رُبَّـمـا قـد وَهَـنَـت مـن تَـعْـبَـهْ[2]
فـأبـطـأت إذ طـعـنـت في السِّنِّ بنتُ الكلبَهْ
لـكـنَّ ديـكـاً عـنـدهـا مـن فـوقـهِ مَـكَـبَّـهْ
فـي كُـلِّ فـخـرٍ إن قَـعَـى قُـوقُـو تـهـبُّ هـبَّـهْ

---

(١) خِدِبَّة: ضخمة

(٢) الحيزبون: العجوز من النساء:

كأنها جِنيَّةٌ منسولَةٌ من تُربَهْ
تمرقُ في لباسِها وفروَةٍ وجُبَّهْ
تُشعِلُ موقدتَها جَمراً وتجثو قُربَهْ
تأتيهما كفاعلٍ بكُرَ يُطلي قُبَّهْ
وبِيَدٍ من حَطَبِ زَجراجةٍ لا رَطْبَهْ
تهزُّ هزًّا مُزعِجاً بالعنفِ لا المحبَّهْ
من لم تقمْ بِلَكزَةٍ فقرصَةٌ أو ضربَهْ
فتهجرانِ مضجعاً مُذْفِياً باللُتبَهْ(١)
ثمّ تقومانِ إلى شغلِهما بكربَهْ
مُقطّباتٍ نَكَداً نظيرَ مَن في الغُربَهْ

* * *

لما رأينَ كلَّ يو م للعجوزِ أوبَهْ
يُوقظُها الديكُ منَ الفجرِ إذا تَنبَّهْ
أضمَرنَ أن يَمكُرنَ في حياتهِ بلُعبَهْ
إذا اغتنمنَ فرصةً خالصةً من نكبَهْ
وقلنَ هذي فِعلَةٌ ما كانَ فيها حَوبَهْ
لِلخِفّةِ الصُغرى اعتَنَتْ لِخَنقِهِ بالأُهبَهْ
واستغفلت عجوزَها تُفرغُ ماءَ القربَهْ
فَوَطأَتْ حافيةٌ وناوَلَتهُ حَبَّهْ
وعصرتهُ عصرةً شديدةً بكَبَّهْ

(١) اللبّة: الترتيب بالشد.

وَمَرَّصَتْ رقبتَهُ بيدِها المُخَضَّبَةْ
فأَخْمَدَتْ أنفاسَهُ من بَعدِ طولِ الصحبَةْ
ودَحَسَتْ رُئَيْسَهُ تدُسهُ في الجُعبَةْ
وجلَست حِيناً كَمَنْ يَدْخُلُ فارٌ عُبَّهْ
حتى اطمأنَّ قلبُها من رجفةٍ أو رَغبَةْ

* * *

لكن هلمُّوا فَنظروا ما قد تأتى عُقبَةْ
عجوزُها إن أوجَسَت من الصباحِ قُربَةْ
تأتيهما من قبلِ ما في الأرضِ ديكٌ يَنْبَهْ
إذا غفلنَ بُرهَةً يسمعنَ صوتَ الجَلبَةْ
فارتدٌ للإدبارِ ما دبَّرنهُ والخيبَةْ
كالملتجي من وهجِ الرَّمضَا بجمرِ اللَّهَبَةْ(1)

(1) اشارة إلى المثل السائر: كالمستجير من الرمضاء بالنار.

تهمة

نَرتَكِبُ الإثمَ ونُعزي إلى آخَرَ فعلَ السوءِ في الآخِرِ
ونذرأُ العارَ احتجاجاً بما يَنْشَأ عن لَيلَى وعن عامِرِ
إنْ لم نجِدْ للاتِّهامِ آمرءاً مِلْنا على الخنَّاسِ والخاتِرِ
وإنْ هُو الطاغي بني آدمٍ فربما لا ذنبَ للكافِرِ
هاكُم على ما ادَّعي حجةً من ألفِ برهانٍ على الناكرِ

* * *

رَوَى لنا مَن دوْخِ الهندَ في أسفارِهِ كالمثلِ السائِرِ(١)
عن بهرميٍّ ذائعٍ صيتِهِ زُهداً رياءَ الناس للناظِرِ
حِليتُه السبحةُ حانوتُهُ سَجَّادةٌ في السوقِ كالزامرِ
يخلعُ في الخلوةِ سِربالَهُ بالهَتْكِ تعويلاً على الساتِرِ
أَقَلُّ نسكا من أخلائِهِ أهلِ الطريقِ الباطنِ الباهرِ
والكلُّ منهم ناذِرٌ بالرِّضَى طاعةَ شيخٍ صارمٍ جائِرِ
مُغرَى بتقليداتِ أشياعهِ وشِرعةِ الأسلافِ مُذْ غابرِ
والمعتدِي القانون يلقى بما حادَ عقابَ الضَّيغَمِ الكاسِرِ
وقد أَنَاخَ الصومُ أثقالَهُ مبرِّحاً في عرصةِ الخاسِرِ
فالبَهْرَمِيُّ المبتلَى إذ غدا في الفرضِ والسُّنَّةِ كالخائِرِ
وَضطرٌ للأكلِ القليلِ كأنْ قَبْقَبَهُ حوصلةُ الطائِرِ

(١) من دوْخ الهند: إشارة إلى البيروني.

فضاقَ للمحنةِ ذرعاً وقد عوّلَ أن يحتالَ في الحاضرِ
فانسلَّ خِفًّا سارقاً بيضةً خبّأها في قبعةِ النّافرِ
حتى دَجَى اللّيْلُ فلا نبأةٌ تُسْمَعُ للخارجِ والعابرِ
استسرجَ المصباحَ مستوريًا زنادَهُ من شَرَرٍ ضامرِ
وانْصَاعَ يشويها على ضَوْئِهِ وقَلْبُهُ يخفقُ كالحاذِرِ
يضحك ما مرّ على بالِهِ هواجسٌ من حيلةِ الماهرِ
كأنما بَالَغَ في كَيْدِهِ وشَيْخُهُ في نومةِ الشاخِرِ
يزعمُ ما من راقبٍ فعلَهُ في الليلِ أو في أَمْرِهِ فاكرِ
لكنَّ ذاك الشيخَ من دأبِهِ يَعتسُّ مثلَ الذئبِ في النادرِ
وتلكمُ الليلةَ صودفَ أنْ أرّقهُ دَبّاً أبو طامِر[1]
تبصبصَ النبراسَ مُسْتَوْقِداً يَمَّمَهُ كالطارقِ الزائِرِ
وخفّفَ الوطأةَ سعياً لَهُ وافتتحَ البابَ على الفاجرِ
فالبَهْرَميُّ احتار لَمَّا بَدت حيلتُهُ للشيخِ في الظاهرِ
وقالَ يا أستاذُ شاهدتَ ما وَسْوَسَهُ الخنّاسُ في خاطِري
إذاً على الفَورِ أبو مُرّةٍ[2] مستعلناً ردّاً على الماكرِ
وقالَ يا هذا ارْعَوِ وارتدِعْ عن لطخِ بَهْتٍ شيمةِ الغادرِ
أمَا كفى بالإثمِ من كسبِكمْ بَرِئتُ من تهمةِ ذا الجائِرِ
بَدْأَةَ ذي بَدءٍ أرَى ههنا بِالضَّوْءِ تُشوَى بيضةُ الطائِرِ

(١) كنية البرغوث.
(٢) إبليس.

عَبَاءُ زيدٍ

أبلى الزمانُ عباءً كان يَلْبَسُها زيدٌ وأخنى على الكُمَّينِ بالخَرَقِ
فباتَ يجهدُ في ترقيعها وغدا يُجيلُ أفكارَهُ في الموضعِ الخَلَقِ
واجتَبَّ كُمَّيهِ من قُدَّامُ خاطَهما بالوَزْبِ في إبطَيهِ ساترَ الخُرُقِ
وبعدَ قصِّهما والخَبْنِ قد قَصُرَا وراحَ يضحكُ منهُ الناسُ في الطُّرُقِ
فكادَ ينشَقُّ غيظاً ثمَّ آبَ إلى عقلٍ ورأيٍ على التجديدِ مُنطبقِ
وقالَ مهما استطالَ الكُمُّ منحدراً فالناسُ يعجبُ من أستاذِهِ الحَذِقِ
فقصَّ ذيلَيهِ بالكُمَّينِ خاطَهما صارت سراويلَ محمولاً على العُنُقِ
فاستهلكَ الخلقُ ضحكاً من سخافتهِ قالوا هَبَنَّقَهُ المعهودُ في الدَّرَقِ(١)
فكم رأيتُ ولاةً حينما قَصدُوا إصلاحَ فاسدِ أمرٍ غيرِ مُلتَفِقِ
عَثَوا وما كانوا يوماً مصلحين وقد تفاخروا في الورى بالخِزيِ والخَرَقِ

---

(١) هَبَنَّقَة: مضرب المثل في الحمق.

(٢) الدرق: جمع درقة وهي ترس من جلد لا خشب فيه ولا عقب.

مختـــارات

من الأدب الإيطالي

المقدمة

قصصنا وحكايانا هذه، هي مختارات من حكايا وأساطير للفنان الإيطالي ليوناردو دافنشي، التي اهتم بها شرحاً وإعداداً برونو نارديني، وترجمها إلى العربية أحمد عبد الكريم، وقد صدرت بالتعاون بين الهيئة العامة المصرية في القاهرة، وبين مؤسسة جونتي في فلورنسا بإيطاليا دون تاريخ.

لم نعهد دافنشي روائياً وقصاصاً، إنما عرفناه فناناً من خلال لوحاته، والتي كانت أشهرها الجوكوندا أو الموناليزا، ربما لأن شهرته الفنية طغت على ما عداها من جوانب عبقريته.

عاش دافنشي بين عامي ١٤٥٢ و١٥١٩، وكان له طول باعٍ في سائر المعارف والعلوم، نفهم ذلك من كلام نارديني الذي يقول فيه:

«عندما كان يتحدث في مجال العلم كان يخرس العلماء، وعند المجادلة بالفلسفة كان يقنع الفلاسفة؛ وعندما كان يرتجل الحكايات والأساطير كان يستحوذ على استحسان وإعجاب رجال البلاط»(١).

سبق دافنشي لافونتين بقرنين من الزمن، وقد كان لقصصه وحكاياه التي كان غالباً ما يرتجلها، أثراً في نفوس الإيطاليين الذين اطلعوا عليها فلاقت منهم قبولاً واستحساناً:

---

(١) ليوناردو دافنشي: حكايا وأساطير، ترجمة أحمد عبد الكريم (القاهرة د.ت) ص٧.

«كانت الأفواه تتناقل بسرعة حكاياته، مع الإضافات الحتمية الناتجة عن التكرار الشفهي، وعبثاً كان الحاقدون يحاولون البحث عن مصادرها في النصوص التقليدية»[1].

كانت الحرية عند دافنشي أسمى ما في الوجود، يترجم ذلك حكاية الحسون، الذي فضل القضاء على فراخه بالسُمّ على أن يعيشوا أسرى في قفص، فاقدين لحريتهم، تلك الحكاية، كما يقول نارديني، ما زالت تتردد حتى الآن في ريف توسكانا[2].

والملاحظ في حكايا دافنشي هذه، أنه لم يوردها مع لسان الحيوانات فقط، وإنما أنطق كذلك الجماد، كاورقة والشجرة والحجر وغيرها.

---

(١) المصدر نفسه، ص ٨.

(٢) راجع حكاية الحسون، الحكاية الرابعة.

١

الورقة والمداد[1]

كانت قطعة من الورقِ موضوعة أعلى مكتب مع أوراق أخرى شبيهة لها، وذات يوم وجدت مليئة بالعلامات. فقد خط عليها قلم مبلل بمداد شديد السواد، العديد من الرسوم والكلمات.

وقالت الورقة في استياء للمداد: ألم يك في وسعك أن توفر عليّ هذه المهانة؟ لقد جعلتني أتسخ بجحيمك الأسود، لقد أتلفتني إلى الأبد!

وأجابها المداد قائلاً: انتظري.. إننى لم أجعلك تتسخين، ولكنني كسوتك بالشعارات. إنك لست بقطعة من الورق الآن، ولكنك أصبحت رسالة. إنك تحرسين فكر الإنسان، لقد أصبحت أداة ثمينة.

والواقع أنه بعد فترة وجيزة، لمح شخص وهو يعيد ترتيب الأشياء الموضوعة على المكتب، تلك الأوراق المتفرقة وجمعها ليلقى بها في النار. ولكن فجأة انتبه إلى الورقة «المتسخة» بفعل المداد ومن ثم ألقى بالأوراق الأخرى، وأعاد وضع الورقة التي كانت تحمل رسالة الذكاء إلى مكانها بحيث تسهل رؤيتها.

---

(١) المداد: الحبر.

الثعلب والغراب

ذات يوم انتهى المطاف بثعلب جائع إلى أسفل شجرة، وكان بها سرب من الغربان الصاخبة.

وبدأ الثعلب المختبىء يرقبها، ولاحظ أن تلك الطيور دائمة البحث عن طعام وأنها لا تخشى حتى من أن تقف على هياكل الحيوانات وتنقر فيها.

فقال الثعلب بينه وبين نفسه: فلنحاول.

وتمدد الثعلب في هدوء دون أن يشعر به أحد، وظل بلا حراك فاغرا فاه متصنعا الموت.

وبعد قليل رآه غراب فأسرع بالنزول من فوق الشجرة. واقترب من الثعلب، وبدأ ينقر لسانه معتقداً أنه قد مات.

وهكذا ترك رأسه داخل فم الثعلب، كما لو كان في مصيدة.

٣

العنكبوت في ثقب الباب

قام العنكبوت باستكشاف جميع أرجاء المنزل من الخارج والداخل، ثم فكر في الدخول في ثقب قفل الباب.

يال له من ملجأ مثالي! من الذي سيكتشفه هناك بالداخل؟

أما هو، فإنه إذا ما أطل من حافة القفل، أمكنه أن يجول بنظره في جميع الاتجاهات دون أي خطر.

وكان يحدث نفسه قائلاً وهو يختلس النظر إلى العتبة المصنوعة من الحجر:

سأمد هناك في أعلى شبكة من أجل الذباب.

وأضاف بقوله وهو يتفحص جيداً السلم: وهنا في أسفل، سأمد شبكة أخرى من أجل ديدان الفراشات، وهنا بالقرب من مصراع الباب، سأنصب مصيدة للبعوض.

واغتبط العنكبوت، وكان ثقب قفل الباب يعطيه أمنا غير عادي، فهو ضيق ومظلم ومبطن بالحديد، بحيث كان يبدو له أكثر من قلعة حصينة غير قابلة للهجوم، وأكثر أمناً من أي درع.

وبينما كان ينعم بهذه الأفكار، سمع وقع خطوات:

وحينئذ انسحب إلى داخل مخبئه في حذر.

لقد كان هناك من يهم بدخول المنزل، وسمع صليل مفتاح إندسّ في فتحة القفل حيث سحقه.

الحسُّون المفرد

عندما عاد الحسون إلى عشه حاملا دودة صغيرة بفمه، لم يجد صغاره. إن شخصاً ما قد سرقهم أثناء غيابه.

وأخذ الحسون يبحث عنهم في كل مكان وهو يبكي ويصرخ، وكان صدى نداءاته اليائسة يُسْمَعُ في جميع أنحاء الغابة، ولكن لم يكن هناك من يجيب عليه.

وذات يوم قال له طائر البرقش:

ـ يبدو لي أنني رأيت صغارك فوق منزل الفلاح.

وانطلق الحسون مفعماً بالأمل، وبعد وقت قصير وصل إلى منزل الفلاح. وهبط على السقف.. لم يكن أحد هناك، ونزل إلى الجرن.. لقد كان خاوياً.

ولكنه لمح، وهو يرفع رأسه، قفصاً معلقاً خارج النافذة. لقد كان صغاره سجناء بداخله.

وعندما شاهدوه متعلقاً بقضبان القفص، أخذوا يزقزقون طالبين منه أن يحملهم بعيداً، وحاول هو أن يحطم بمنقاره وَساقَيْهِ حواجز السجن، ولكن محاولته ذهبت هباء.

وحينئذ تركهم وسط نحيب شديد.

وفي اليوم التالي، عاد الحسون من جديد إلى القفص حيث كان أبناؤه. ونظر إليهم عبر الحواجز وأطعمهم واحداً واحداً للمرة الأخيرة.

وواقع الأمر، أنه كان قد حمل لصغاره العشب السام، وهكذا لقيت الطيور الصغيرة حتفها.

وقال: من الأفضل أن يموتوا بدلاً من أن يفقدوا حريتهم.

شجَرة الخوخ

كانت شجرة خوخ تعيش بجانب شجرة جوز، وكانت تنظر بحسد إلى فروع زميلتها المُحَمَّلةِ بثمار الجوز.

وكانت تفكر قائلة:

لماذا يجب أن تكون لها ثمار كثيرة على حين أن لدي ثماراً قليلة؟ هذا ليس بالعدل. أود أن أجرب وأن أفعل مثلها.

فقالت لها شجرة برقوق شابة قرأت ما يدور بخلدها:

لا تجربي. ألا ترين كم هي قوية أفرع شجرة الجوز؟ ألا ترين أي جذع ضخم لها؟ إن كل واحد يجب أن يعطى بقدر قوته. فكري في طرح ثمار خوخ طيبة، النوع هو المهم وليست الكمية.

ولكن الحقد أعمى شجرة الخوخ ولم تُصْغِ لنصيحة شجرة البرقوق، وطلبت من جذورها أن تمتص مادة أكثر من الأرض، كما طلبت من أليافها أن تفرز مادة لنفاوية بصورة أكبر، ومن أفرعها أن تورق أكثر، ومن زهرها أن يتحول إلى ثمار.

وعندما حل موسم الأثمار، وجدت نفسها محملة بثمار الخوخ من الرأس إلى القدم.

ولكن ثمار الخوخ كانت تنمو ويزيد وزنها حتى أن الأفرع كانت عاجزة عن حملها، كما أن الجذع لم يكن في مقدوره حمل كل تلك الأفرع الحافلة بثمار الخوخ.

وانحنت شجرة الخوخ وهي تئن وتهشم جذعها محدثاً ضجيجاً هائلاً، وتعفنت كل ثمار الخوخ أسفل شجرة الجوز.

اللبوة[1]

كان الصيادون المسلحون بالرماح والحراب الحادة، يقتربون في صمت. وشمت اللبوة التي كانت ترضع صغارها، الرائحة وانتبهت على الفور إلى الخطر المحدق بها.

ولكن كان الأوان قد فات، فالصيادون كانوا قد أصبحوا أمامها مستعدين لطعنها.

وأرادت اللبوة الخائفة أن تهرب أمام رؤية هذه الأسلحة، ولكنها سرعان ما فكرت في أن هروبها سيوقع بصغارها في أيدي الصيادين. فقررت أن تدافع عنهم، وخفضت من نظرها حتى لا ترى أسنان هذه الأسلحة التي تهددها وتنزل الرعب بها، وبوثبة يائسة هبطت وسط الصيادين وجعلتهم يفرون، إن شجاعتها الكبيرة قد كتبت لها النجاة.

(١) انثى الأسد.

البجعة

حَنَتِ البجعة عنقها في اتجاه الماء ونظرت فيه ملياً.

وحينئذ أدركت سبب شعورها بالتعب، وسبب ذلك البرد الذي كان متمكناً من جسدها وكان يجعلها ترتجف كما يحدث في الشتاء: وعرفت بكل تأكيد أن ساعتها قد حانت ويجب أن تستعد للموت.

لقد كان ريشها لا يزال أبيض كما كان في أول يوم من أيام حياتها. وكانت السنين وتعاقب الفصول قد مرت بها دون أن تلطخ رداءها الناصع، والآن يمكن لها أن تذهب وأن تختم حياتها وهي لا زالت جميلة.

ورفعت عنقها واتجهت في أناة وخشوع إلى أسفل شجرة صفصاف حيث تعودت الركون إلى الراحة ساعة الظهيرة، وكان الوقت مساء حيث الغروب يكسو ماء البحيرة باللونين الأرجواني والبنفسجي.

ووسط الصمت المطبق من حولها، بدأت البعجة تشدو.

ولم يكن قد سبق لها قبل ذلك أن أرسلت مثل هذه النبرات المفعمة بالحب للطبيعة بأسرها، ولجمال السماء والماء والأرض.

وانتشر شدوها العذب المغلف بالحنين، وأخذ شعاع حياتها ينطفىء شيئاً فشيئاً مع آخر شعاع ضوء في الأفق.

وفي تأثر، قالت الأسماك والطيور وكل حيوانات المرج والغابة: إنها البجعة.. إنها البجعة تودع حياتها.

المَحارة والسّرطان

كانت هناك محارة تعشق القمر. وعندما كان البدر يسطع في السماء، كانت تظل الساعات فاغرة فاها وهي تتطلع إليه.

وتنبه السرطان من مكان مراقبته، إلى تلك المحارة التي كانت تنفتح كلها عندما يكون القمر بدراً، وفكر في أن يلتهمها.

وفي الليلة التالية، وعندما انفتحت المحارة من جديد، ألقي السرطان حصوة بداخلها.

وأسرعت المحارة محاولة الإنغلاق، ولكن الحصوة عاقبتها عن ذلك.

وهذا ما يحدث لمن يفتح فاه ليبوح بسره، فهناك دائماً بعض الآذان التي تلتقطه.

شجرة التين

كانت هناك شجرة تين تفتقر إلى الثمار. وكان الجميع يمرون بجانبها دون أن يتطلع إليها أحد. وفي الربيع كانت تورق كبقية الأشجار، ولكن في الصيف كان لا يظهر على فروعها شيء، في الوقت الذي تكون فيه الأشجار الأخرى محملة الثمار.

وكانت تتنهد قائلة. كم يروق لي أن يمتدحني الناس. أنا لا أريد أكثر من أن أتمكن من تقديم الثمار كالأشجار.

وحاولت مرة ومرة، وفي النهاية وجدت نفسها ذات صيف محملة بالثمار التي جعلتها الشمس تنمو وتنتفخ وتتميز بالطعم اللذيذ.

ولاحظ الناس ذلك، ولم يكن قد سبق لهم مشاهدة شجرة تين محملة بالثمار كهذه الشجرة، وسرعان ما تسابقوا ليروا من سيجمع منها ثماراً أكثر. وتسلقوا جذوعها، وثنوا بالعُصِيّ فروعها العالية، وأدى ثقلهم إلى تحطيم كثير من هذه الفروع، لقد كان الجميع يودون تذوق هذه الثمرات الشهية، وسرعان ما وجدت شجرة التين المسكينة نفسها منثنية ومحطمة.

العنكبوت والعنب

ظل عنكبوت لأيام طويلة يراقب حركة الحشرات، وبعد ذلك انتبه إلى أن الذباب يسرع إلى عنقود عنب حباته كبيرة ولذيذة.

وحدث نفسه قائلاً: لقد فهمت.

ومن ثم تسلق إلى قمة الشجرة، وبخيط رفيع هبط إلى العنقود واستقر في تجويف صغير مختبئاً بين حبات العنب.

ومن هذا المخبأ بدأ كاللص، في مباغتة الذباب المسكين الباحث عن الطعام، وقتل منه الكثير لأن الذباب لم يكن يشك في وجوده.

ولكن جاء وقت الحصاد.

ووصل الفلاح إلى الحقل، وقطف ذلك العنقود وألقى به في السلة الكبيرة، حيث سحق على الفور وهكذا كان العنب، بمثابة الشرك للعنكبوت المخادع الذي مات مع الذباب المخدوع.

الحمار والثلج

ذات مرة كان هناك حمار متعب، يشعر بعدم القدرة على السير حتى الإسطبل.

وكان الوقت شتاء، والطقس شديد البرودة وجميع الطرقات متجمدة.

وقال الحمار وهو يلقي بنفسه على الأرض: إنني سأتوقف هنا:

ونزل بجانبه عصفور جائع وهمس في أذنه:

ـ أيها الحمار، إنك لست على الطريق، ولكن فوق بحيرة متجمدة. عليك أن تنتبه.

وتثاءب الحمار الذي كان يغلبه النعاس، ثم نام. ولكن الحرارة المنبعثة من جسده بدأت تذيب الثلج شيئاً فشيئاً، حتى تحطم الثلج محدثاً فرقعة.

وعندما وجد الحمار نفسه وسط الماء، استيقظ مذعوراً ولكن بعد فوات الأوان، فقد كان نصيبه الغرق.

١٢

شجرة الغار ونبات الريحان

توقف فلاحان بجانب شجرة كمثرى وكل منهما يحمل في يده فأساً.

فصاحت شجرة الغار قائلة: يا شجرة الكمثري، أنهما قدما من أجلك!

وأمسك الفلاحان بالفأس، وأخذا في ضرب أسفل الشجرة لإسقاطها.

وحينئذ صاح نبات الريحان: يا شجرة الكمثري أين تذهبين؟ أين غطرستك التي كنت تظهرينها عندما كانت أفرعك محملة بالثمار؟

واستطردت شجرة الغار بقولها: الآن لن نستظل بشعورك الغزيرة.

وهمست شجرة الكمثري التي ضربت حتى الموت:

إنني ذاهبة مع هذين الفلاحين اللذين يقتلعانني الآن لكي يحملاني إلى نحات ممتاز. وهذا الأخير سينحتني بفنه. لكي يلبسني هيئة الإله «جوبيتر»، وسأحمل بعد ذلك إلى معبد أقيم خصيصاً لي، وسيقوم كل الناس بعبادتي. وأنت يا شجرة الغار، وأنت يا ريحانة، لقد قدر عليكما أن تظلا دائماً بأفرع محطمة مجردة من الأوراق، لأن الناس سيأتون لجمع أوراقكما لتتويجي، وليقدموا لي التكريم الخليق بالآلهة.

الجمل

كان الجمل جاثماً على ركبته، ينتظر في صبر أن ينتهي صاحبه من وضع الأحمال عليه. . شوال، شوالين، ثلاثة شوالات، أربعة شوالات.

وحدث نفسه قائلاً: ولكن متى سيفرغ من هذا؟

وفي النهاية طرقع الرجل بلسانه، ونهض الجمل.

وقال صاحبه وهو يجذبه من اللجام: هيا بنا.

بيد أن الجمل لم يتحرك.

فصاح الرجل وهو يهز الحبل بشدة: هيا، إلى الأمام!.

ولكن الجمل ثبّت قدميه في الأرض وظل ساكناً.

فقال صاحبه: لقد فهمت، وتنهد وأنزل عن ظهره شوالين.

وهمس الجمل بينه وبين نفسه قائلاً: الآن يبدو لي أن الوزن معقول ـ وبدأ السير.

وسار بخطوات سريعة طيلة النهار، واعتقد الرجل أنه قد أصبح في استطاعته الوصول إلى القرية. ولكن الجمل توقف عند نقطة معينة.

فقال له صاحبه: إشحذ همتك، فأمامنا عدة أميال قليلة ونصل إلى الدار.

وكانت إجابة الجمل، هي التمدد على الأرض.

وحدث نفسه قائلاً: إن قدمي تقولان لي أنهما سارتا اليوم بما فيه الكفاية.

وهكذا وجد الرجل نفسه مضطراً إلى أن يرفع الأحمال عنه، وأن يقضي الليل بطوله إلى جانبه في الصحراء.

اللسان الذي قضمته الأسنان

كان هناك صبي له عادة سيئة، وهي الحديث أكثر مما يجب.

وتنهدت الأسنان ذات يوم قائلة: يا له من لسان!.

إنه لا يتوقف على الإطلاق، إنه لا يصمت البتة!.

فأجاب اللسان في استعلاء: ماذا لديكن لتتهامسن به؟.

إنكن معشر الأسنان لَسْتُنَّ غير خدام ومهمتكن فقط هي مضغ ما أختاره أنا. ليس هناك شيء مشترك بيننا، وإنني لا أسمح لَكُنَّ بالتدخل في شؤوني.

وهكذا استمر الصبي في الثرثرة حتى بغير مناسبة، على حين كأن لسانه يشعر بالسعادة لأنه يتعلم كل يوم كلمات جديدة.

ولكن ذات يوم، وبعد أن أتى الصبي فعلة مؤذية، سمح للسانه بأن يتفوه بكذبة كبرى، فأطاعت الأسنان القلب، وانطلقت جميعها وقضمت اللسان.

ودَمِيَ اللسان واحمَّر لونه، كما احمَّر وجه الصبي النادم خجلاً.

ومنذ ذلك اليوم، أصبح اللسان وحذراً، وكان يفكر مرتين قبل أن يتكلم.

المحارة والفأر

وجدت محارة نفسها من جديد، مع غيرها من السمك الكثير في منزل أحد الصيادين بالقرب من البحر.

وفكرت المحارة وهي تنظر إلى رفاقها الذين يختنقون وهم متناثرون على الأرض، وقالت: هنا سيهلك الجميع.

ومر فأر.

فقالت له المحارة: إسمع أيها الفأر! هل تحملني من فضلك حتى البحر؟

فنظر إليها الفأر: لقد كانت محارة جميلة وكبيرة، وكان يبدو أن لحمها لذيذ.

فأجاب الفأر الذي كان قد قرر التهامها: بالطبع. ولكن يجب أن تنفتحي، لأنني لا أستطيع حملك وأنت منغلقة هكذا.

ففتحت المحارة نفسها في حذر، فأسرع الفأر بدسّ رأسه داخلها، ليمسكها بأسنانه. ولكن الفأر في تعجله، حركها أكثر من اللازم، فانغلقت المحارة فجأة وحبست رأس الفأر فصرخ، وسمعته القطة فوثبت عليه بسرعة والتهمته.

الفأر وابن عرس والقطة

ذات صباح لم يكن في استطاعة الفأر الصغير أن يغادر المنزل، لقد كان محاصراً، حيث كان ابن عرس الجائع ينتظره عند باب البيت. وكان الفأر يراه من فتحة صغيرة وهو يراقب المدخل بانتباه، وفي وضع استعداد للوثوب عليه.

وكان الفأر الصغير المسكين، يرتعد من شدة الخوف لعلمه أنه في خطر كبير.

ولكن فجأة هبطت قطة خلف ظهر ابن عرس، وأخذته بين أسنانها والتهمته.

فتنهد الفأر الصغير الذي كان قد شاهد المنظر من جحره، وقال: شكراً لك يا «جوبيتر» الآله، سأقدم لك عن طيب خاطر بعضاً من حبات البندق التي معي!.

وبعد أن أوفى النذر، خرج مسروراً حتى يستعيد حريته المفقودة: ولكن الأمر لم يدم أكثر من لحظة لأنه سرعان ما فقد حريته وحياته تحت أسنان القطة المتوحشة.

طيور الكركي

كان الملك معروفاً بالطيبة، ولكن كان له أعداء كثيرون. وكانت طيور الكركي المخلصة الوفية قلقة عليه. وكان من المحتمل دائماً وخاصة أثناء الليل، أن يحيط الأعداء بالقصر للسيطرة على الملك.

وتساءلت الطيور: ما العمل؟ إن الجنود ينامون بدلاً من القيام بأعمال الحراسة، وليس من الممكن إسناد أية مهمة إلى الكلاب التي تخرج باستمرار للصيد وتكون متعبة بصفة دائمة. يجب أن نقوم نحن بمراقبة القصر لكي ينعم ملكنا بنوم هادىء.

وهكذا قررت طيور الكركي أن تتحول إلى حرّاس حيث قسمت أنفسها إلى مجموعات، تختص كل منها بمنطقة تقوم فيها بدوريات حراسة منتظمة.

ووزعت أكبر مجموعة نفسها على المرج الذي يحيط بالقصر، واصطفت أخرى أمام جميع أبواب المدخل، وقررت المجموعة الثالثة البقاء في حجرة الملك لمراقبته عن كثب.

وتساءلت بعض الطيور: وإن غلبنا النعاس؟

فأجابت الأكبر سناً: سنستخدم هذا العلاج ضد النعاس: سنربط جميعاً حجراً بالساق التي نرفعها عند وقوفنا. فإن غلب النعاس إحدانا، سيسقط الحجر على الأرض ويوقظها ضجيجه.

ومنذ ذلك اليوم، وطيور الكركي تتبادل حراسة الملك كل ساعتين، ولم يسقط الحجر من أية منها.

شجرة الكستناء وشجرة التين

ذات يوم رأت شجرة كستناء طاعنة في السن، رجلاً فوق شجرة تين.

وكان الرجل يثني الفروع تجاهه وينزع عنها الثمار الناضجة ويضعها في فمه واحدة تلو الأخرى، ملتهما إياها بأسنانه الصلبة.

فهزت شجرة الكستناء أفرعها، هزة طويلة وقالت:

يا شجرة التين إنك لست مدينة كثيراً تجاه الطبيعة الأم وذلك على العكس مني! أترين كيف صورتني؟ كيف أحسنت تنظيم وحماية صغاري، بأن ألبستهم أولاً قميصاً رقيقاً وضعت عليه سترة من الجلد الخشن المبطن؟ ولكنها لم تكتف بذلك، فأقامت بيتاً صغيراً متيناً لهم، وزرعت فوقهم كثيراً من الشوك الحاد الرفيع لحمايتهم من أيدي الناس:

وعندما سمعت شجرة التين هذا، أخذت تضحك مع كل ثمارها من التين، وبعد أن ضحكت ملياً، قالت:

ولكن هل تعرفين أنت الإنسان؟ إنه على قدر من المهارة بحيث ينزع على الرغم من هذا، جميع ثمارك. فهو يتسلح بالأعمدة والعصى والحجارة، ويهز أفرعك ويجعل ثمارك تسقط، وعندما تسقط يدوسها أو يسحقها بالحجارة، حتى يخرجها من البيت الصغير المحصن جيداً بالأشواك، ويخرج صغارك في حالة سيئة وهم محطمون منهوكون. أما أنا فعلى العكس، تجنى ثماري بنعومة، فلا تلمسني إلا الأيدي فقط.

١٩

النبات وعمود الخشب

كان هناك نبات ينمو بوفرة ويرفع قمته ذات الأوراق الغضة إلى السماء. وكان يتحمل على م، وجود عمود من الخشب الجاف العجوز بجانبه.

فقال له: أيها العمود إنك تلتصق بي كثيراً. ألا تستطيع أن تبتعد عني قليلاً؟

فتظاهر العمود بأنه لم يسمع شيئاً، وبالتالي لم يجبه.

وحينئذ التفت النبات إلى سياج الشجيرات الشائكة المحيطة به، وقال له:

ـ أيها السياج، ألا تستطيع الذهاب إلى مكان آخر؟

إنك تضايقني.

وتظاهر السياج بأنه لم يسمع، ولم يرد.

حينئذ رفعت إحدى السحالي[١] رأسها الصغير. ونظرت إلى النبات من أسفل إلى أعلى، وقالت له:

ـ يا لك من نبات جميل. ألا ترى أن العمود يجعلك متعدل القوام؟ ألا تدرك أن السياج يحميك من صحبة السوء؟

---

(١) السحالي: من الحيوانات الصغيرة.

موسى الحلاقة

ذات مرة كان هناك موسى جميل في محل حلاق. وفي يوم من الأيام لم يكن أحد بالمحل، ففكر في أن يلقى نظرة على ما حوله، وجعل الشفرة تخرج من المقبض الذي كانت تقبع فيه كأنها في غمد، وأخذ يتمتع بيوم الربيع الجميل.

ولما رأى الموسى الشمس تعكس أشعتها على جسده، تملكته المفاجأة وتعجب: لقد كانت الشفرة المصنوعة من الصلب تصدر ذلك البريق الذي يجعل الموسى يشعر بالاستعلاء مما دفعه إلى أن يقول لنفسه:

وهل يجب عليّ أن أعود إلى ذلك المحل الذي خرجت منه الآن؟ كلا بالطبع! إن الآلهة لا تريد أن يسفه جمال مثل جمالي بهذه الطريقة. سيكون من الجنون البقاء هناك وحلق الذقون المغطاة بالصابون. لأولئك القرويين، وتكرار نفس العمليات الميكانيكية إلى ما لا نهاية! هل تناسب مثل هذه التدريبات جسمي هذا الجميل؟ كلا بالطبع! إنني سأذهب لأختفي في مكان مجهول حتى أتمتع ببقية أيامي في هدوء.

ولما فرغ الموسى من كلامه، بحث عن مخبأ واختفى عن أعين الجميع.

ومرت الشهور. وفي يوم انتابته رغبة ليستنشق قليلاً من الهواء، ومن ثم ترك الموسى مخبأة وخرج بحذر من المقبض الخشبي وتطلع إلى نفسه.

واحسرتاه! ماذا جرى؟ لقد أصبحت الشفرة قبيحة المنظر مثل المنشار الذي علاه الصدأ، ولم تعد تعكس بريق الشمس.

وشعر الموسى بالمرارة والندم وبكى الضرر الذي نزل به والذي لا يمكن إصلاحه، وقال:

ـ آه، كم كان من الأفضل جعل شفرتي الجميلة تتدرب وتظل حادة وهي تحلق الذقون المغطاة بالصابون! إن سطحي كان سيبقى لامعاً، وكانت حلاقتي

ستظل ناعمة! ولكن ها أنا الآن متآكل وتعلوني قشرة من الصدأ القبيح! وليس هناك من علاج!.

إن نفس هذه النهاية السيئة للموسى. تنتظر الأشخاص النابهين الذين، بدلاً من أن يمارسوا فضائلهم يفضلون أن يركنوا إلى الكسل. ومثلهم مثل الموسى، يفقدون دقة ونور الذكاء وسرعان ما يتآكلون بفعل صدأ الجهل.

الأسـد

لم تكن أعين الأشبال الصغيرة قد تفتحت بعد، ومنذ ثلاثة أيام وهم بين أرجل الأم، يتلمسون طريقهم فقط بحثاً عن اللبن ولا يشعرون بأي نداء.

وكان الأسد قد انتحى جانباً وهو يراقبهم.

وفجأة نهض وهز لبدته الجميلة، وصدر عنه زئير جبار مثل الرعد.

وسرعان ما فتحت الأشبال الصغيرة أعينها، على حين هربت جميع الحيوانات المتوحشة الموجودة في السهل المعشب في فزع شديد.

وكما أن الأسد يوقظ صغاره بصيحة مدوية، يوقظ المديح المعقول فضائل أبنائنا النائمة، ويحثهم على الاستذكار بطموح، وهو يبعد كل ما هو غير جميل وغير طيب.

أبو جراب[1]

عندما انطلق أبو جراب ليبحث عن الطعام، أخذ الثعبان المتخفي وسط الأفرع، في التحرك تجاه العش.

وكان الصغار ينامون في هدوء.

واقترب الثعبان وفي عينه وميض ينم عن الشر، وبدأت المأساة. عضة سامة لكل منهم، وهكذا انتقل المساكين من النوم إلى الموت.

ولما أرضى الثعبان غروره، عاد إلى مخبئه، لكي يتمتع برؤية أبي جراب عند عودته.

وعاد الطائر بعد قليل.

وعندما شاهد تلك المأساة، بدأ في البكاء، وكان نواحه يائساً، لدرجة أن جميع سكان الغابة كانوا يسمعونه في تأثر. وكان الأب المسكين يقول وهو ينظر إلى أبنائه القتلى:

ـ أي معنى لحياتي الآن بدونكم؟ أريد أن أموت أنا كذلك مثلكم!.

وبدأ يمزق صدره بمنقاره فوق القلب مباشرة. وكانت الدماء تتدفق بغزارة من الجرح، وتبلل الصغار الذين قتلهم الثعبان.

ولكن فجأة، اهتز أبو جراب المحتضر. إن دمه الساخن قد أعاد الحياة إلى صغاره، إن حبه بعث فيهم الحياة ـ وحينئذ لفظ أنفاسه الأخيرة وهو سعيد.

---

(١) أبو جراب: من الطيور.

النملة وحبة القمح

كانت هناك حبة قمح ظلت بمفردها في الحقل بعد الحصاد. لقد كانت تنتظر المطر حتى تعود وتختبىء تحت الأرض.

ورأتها نملة، فحملتها على ظهرها واتجهت بها في مشقة كبيرة ناحية العش البعيد.

وأخذت النملة تسير وتسير، وكانت حبة القمح تبدو كما لو أن ثقلها يتزايد باطراد على أكتاف النملة المنهكة.

فقالت حبة القمح: لماذا لا تدعينني وشأني؟

وأجابت النملة: إن تركتك وشأنك، فلن يكون لدينا مؤونة لهذا الشتاء. إن أعدادنا كثيرة نحن معشر النمل، وكل واحدة منا يجب أن تحمل إلى بيت المؤن أكبر قدر من الغذاء الذي تنجح في العثور عليه.

فاستطردت حبة القمح قائلة: بيد أنني لم أخلق فقط للأكل. إنني بذرة مفعمة بالحياة وقد خلقت لكي آتي للوجود بشجرة. أنصتي إلي يا عزيزتي النملة، فلنعقد اتفاقاً بيننا.

وفرحت النملة بالركون إلى الراحة قليلاً، وأنزلت عنها حبة القمح وسألتها: أي اتفاق؟

فقالت حبة القمح: إن تركتينني هنا في حقلي وتخليت عن رغبتك في حملي على عشك، سأرد لك مائة حبة مثلي خلال عام.

فنظرت إليها النملة غير مصدقة.

نعم يا عزيزتي النملة، صدقي ما أقوله لك. إن استغنيت عني اليوم، سأعطيك مائة حبة مثلي، سأهديك مائة حبة قمح لعشك.

وفكرت النملة. مائة حبة في مقابل حبة واحدة فقط، ولكنها معجزة!

وسألت حبة القمح: وكيف ستفعلين؟

فأجابت حبة القمح: إنه سر. إنه سر الحياة. احفري حفرة صغيرة وادفنيني بداخلها، وعودي خلال عام.

وفي العالم التالي عادت النملة.

وكانت حبة القمح قد أوفت بوعدها.

مجرى الماء

نسى مجرى الماء أن الفضل في مياهه يرجع إلى الأمطار والجداول، وفكر في أن ينتفخ حتى يصبح نهراً كبيراً، مثل النهر الحقيقي.

وهكذا بدأ في دفع الأمواج العنيفة تجاه الشاطىء، نازعاً في لهفة، الأرض والحجارة لتوسيع مجراه.

ولكن عندما عادت الشمس فجأة، وجد مجرى الماء المسكين نفسه حبيس كل الأحجار التي كان قد اقتلعها من الشاطىء، واضطر أن يبذل مجهوداً كبيراً حتى يشق لنفسه طريقاً جديداً ليهبط إلى الوادي.

شجرة التوت

لم تعد شجرة التوت تتحمل أكثر من ذلك، فالآن وبعد أن امتلأت أفرعها من جديد بثمرات التوت السوداء، تقوم أناث الشحرور المزعجة بقرض كل أفرعها الصغيرة بمناقيرها وخدشها بمخالبها.

واتجهت شجرة التوت إلى أنثى الشحرور التي تضايقها أكثر من غيرها وتوسلت إليها بقولها:

اتركي لي الأوراق على الأقل من فضلك! أعلم أن ثماري تعجبك كثيراً، وهي ثمارك المفضلة، ولكن لا تحرميني من ظلال الأوراق التي تحميني من أشعة الشمس المحرقة، ولا تخدشيني بأظافرك ولا تجرديني من قشرتي اللينة.

وعندما سمعت أنثى الشحرور هذه الكلمات، شعرت بالإهانة وأجابت بقولها:

«صه، أيها الجذع البرىء! ألا تعلم أن الطبيعة قد جعلتك تؤتي هذه الثمار من أجل غذائي فقط؟ ألا ترى أنك ولدت فقد لتمدني بالطعام؟ ألا تعلم أيها الجذع الخشن إنك في الشتاء القادم، ستكون غذاء للنار»؟

ولما سمعت شجرة التوت هذه الكلمات، أخذت تبكي في صمت.

وبعد مدة سقطت أنثى الشحرور في شبكة الصياد المنصوبة ولكي يضع الرجل الطائر في قفص، جمع كثيراً من الأفرع الصغيرة من السياج، وقدمت شجرة التوت كذلك الأعواد.

وحينئذ قالت شجرة التوت:

يا أنثى الشحرور، إنني ما زلت هنا، وأفرعي تحرمك من الحرية التي كنت تعذبيني بها. إن النار لم تأكلني بعد، كما كنت تقولين لي: وقبل أن تريني محترقة سأراك أنا في السجن.

الشبكة

في ذلك اليوم أيضاً، خرجت الشبكة مليئة بالأسماك، من أنواع الشبوط والبربيس والجلكا والتنش والجريث[1]، وأخرى كثيرة انتهت إلى داخل سلال الصيادين.

وتحت مياه النهر، لم تكن الأسماك الفزعة التي بقيت على قيد الحياة، تجسر على الحركة. لقد كانت عائلات بأكملها قد حملت إلى السوق، وأفواج كاملة كانت قد سقطت في الشبكة وانتهت إلى المقلاة. ما العمل؟

واجتمعت بعض السمكات الشابة من القوبيون خلف حجر، وقررت التمرد.

وقالت: إن الأمر هنا يتعلق بالحياة أو الموت، إن هذه الشبكة التي تهبط إلى الماء كل يوم وفي مكان مختلف دائماً لكي تسجننا وتنزعنا من وسط بني جنسنا، ستقضي علينا جميعاً. إن أبناءنا لهم حق الحياة، ويجب علينا أن نفعل شيئاً حتى ننقذهم من الهلاك.

فسألت إحدى سمكات التنش التي كانت قد تابعت الأمر قائلة: «وماذا بوسعنا أن نفعل»؟

وأجابت سمكات القوبيون الشابة: نحطم الشبكة.

وسرعان ما انتشر القرار الشجاع على طول النهر بفضل سمكات الجريث السريعة الحركة، ودعيت جميع الأسماك للاجتماع في الصباح التالي في خليج صغير يحميه شجر الصفصاف الضخم.

وفي اليوم التالي اجتمعت آلاف الأسماك من مختلف الأحجام والأعمار، لكي تعلن الحرب على الشبكة.

---

(١) من أنواع السمك.

وأسندت مهمة قيادة العمليات إلى سمكة شبوط عجوز ماكرة، كانت قد نجحت مرتين في الهروب من السجن حيث مزقت بأسنانها حبال الشبكة.

وقالت هذه السمكة: انتبهن جيداً، إن الشبكة واسعة مثل النهر، وكل حبل على الجانب الأسفل به قطعة من الرصاص تجعله يبقى في القاع. قسمن أنفسكن إلى مجموعتين: واحدة سترفع قطع الرصاص حاملة إياها إلى السطح، على حين ستمسك المجموعة الأخرى بشدة بحبال الجانب الأعلى وستقطع سمكانت الجلكا بأسنانها الحبال التي تبقى على الشبكة منتشرة بين الشاطئين، وستقوم سمكات الجريث على الفور بعملية استطلاع لتحدد لنا المكان الذي نصبت فيه الشبكة.

وانطلقت سمكات الجريث، وانضمت الأسماك في مجموعات وانتشرت على طول الشواطىء. وكانت سمكات القوبيون تشجع السمكات الأخرى الخائفة مذكرة إياها بالنهاية الحزينة لكثير من رفاقها، ومشجعة إياها على ألا تخاف من البقاء في الشبكة، لأنه لا أحد من الرجال سيخرج بها إلى الشاطىء.

وعادت سمكات الجريث بعد أن قامت بعملية الاستطلاع. وكانت الشبكة قد نصبت على مسافة ميل.

وحينئذ أبحر السمك جميعه مثل أسطول ضخم، وراء سمكة الشبوط العجوز.

وقالت سمكة الشبوط: انتبهن، إن التيار يمكن أن يجرفكن إلى الشبكة: أبطئن. مع المناورة الجيدة بالزعانف.

وظهرت الشبكة الرمادية اللون الباعثة على التهديد.

وتحرك السمك الذي تملكه الغضب فجأة، إلى الهجوم.

ورفعت الأسماك الشبكة من القاع وقطعت الحبال التي كانت تفردها، ومزقت خيوطها، ولكن السمك الغاضب لم يترك الضحية. كانت كل سمكة تمسك بخيط في فمها وتحرك زعانفها وذيلها وتجذبه في جميع الاتجاهات لتمزيق الشبكة، واستعادت بذلك الحرية المفقودة في الماء الذي كان يبدو أنه يغلي.

٢٧

شجرة الياسمين البري

في ظل السياج، كانت شجرة الياسمين البري تلوي أذرعها الخضراء حول جذوع وأفرع نبات الزعرور البري.

ولما وصلت إلى القمة، التفتت حولها ورأت سياجاً آخر بجانب ناحية أخرى من الطريق.

فقالت شجرة الياسمين البري: كم يروق لي أن أصل حتى هناك. ذلك السياج أجمل وأكبر من هذا.

وشيئاً فشيئاً، أخذت تمد سواعدها وتزيد اقترابها كل يوم من السياج المواجه لها. وفي النهاية وصلت إليه والتصقت بأحد الأفرع، وبدأت تلتف حوله وهي سعيدة.

ولكن بعد فترة قليلة مر في ذلك الطريق بعض الرائحين والغادين، الذين وجدوا أنفسهم فجأة أمام فرع شجرة الياسمين الذي كان يسد الطريق. وحينئذ حطموه بأيديهم وانتزعوه من السياج وألقوا به في الحفرة.

الفراشة وضوء القنديل

ذات مساء، كانت فراشة كبيرة الحجم متعددة الألوان تهيم على وجهها وهي تحلق في الظلام، عندما رأت ضوءاً صغيراً على بعد. وسرعان ما وجهت أجنحتها إلى تلك الناحية وعندما وصلت بالقرب من الشعلة، أخذت تحوم حولها في خفة وفي عجب شديد. كم كانت جميلة!

ولما لم تَكْتفِ الفراشة بتأملها، صممت على أن تفعل معها ما كانت تفعله عادة مع الأزهار العطرة، وابتعدت واستدارت واتجهت بشجاعة نحو الشعلة ومرت فوقها ولمستها.

ووجدت نفسها في ذهول أسفل القنديل، وانتبهت في دهشة إلى أنها فقدت ساقاً، وأن طرف الأجنحة قد لسعته النار.

وتساءلت دون أن تجد تفسيراً لما حدث، وقالت: ماذا أَلَمَّ بي؟.

لم يكن في مقدورها على الاطلاق أن تعترف بأنه من الممكن أن يصيبها سوء، من شيء جميل جداً مثل تلك الشعلة، لذلك بعد أن استعادت شيئاً من قوتها، ضربت بجناحيها وعادت تطير.

ووثبت عدة وثبات، ثم اتجهت من جديد ناحية الشعلة لتفق عليها، وعلى الفور سقطت محترقة في الزيت الذي كان يغذي الشعلة القوية.

وهمست الفراشة التي كانت في النزع الأخير قائلة: يا لك من ضوء ملعون. لقد كنت أعتقد أنني سأجد سعادتي فيك، ولكن على العكس.. وجدت فيك الموت. إنني أندم على رغبتي الحمقاء لأنني عرفت طبيعتك الخطرة في وقت متأخر جداً وبعد أن دفعت الثمن.

فأجابها القنديل: أيتها الفراشة المسكينة، إنني لست بالشمس كما كنت تعتقدين في سذاجة. إنني ضوء فقط ومن لا يستطيع استخدامي بحرص، يكون مصيره الاحتراق.

البرغوث والقندس[1]

كان هناك برغوث يعيش وسط شعر الكلب القصير، وذات يوم شم رائحة صوف طيبة.

- ماذا يحدث؟.

ووثبت وثبة قصيرة، وانتبه إلى أن الكلب كان قد نام فوق فراء قندس كبير.

فقال البرغوث: إن هذا الفراء مناسب لي تماماً. إنه أكثر سمكاً ونعومة، وفوق كل شيء أكثر أمناً. هنا لا يوجد خطر مصادفة أظافر وأسنان الكلب التي تبحث عني بين حين وآخر، كما أن فراء القندس الكبير سيكون بالطبع أكثر راحة.

ولم يفكر البرغوث كثيراً، وغَيَّرَ مسكنه حيث انتقل بوثبة من شعر الكلب إلى فراء القندس الكبير.

ولكن الصوف كان مكتظاً بشدة وكان دهنياً لدرجة أنه لم يكن من السهل الوصول إلى الجلد.

وحاول وحاول، وهو يبعد كل شعرة عن الأخرى في صبر، وفتح لنفسه طريقاً ووصل إلى جذور الشعر: ولكن هذه الأخيرة كانت كثيفة بحيث يكاد يلامس بعضها البعض، ومن ثم لا تترك أية مساحة صغيرة للبرغوث حتى يتذوق الجلد.

وتعب البرغوث وتصبب منه العرق وخابت آماله فاستسلم وقرر العودة إلى الكلب، ولكن الكلب كان قد رحل.

يا له من مسكين هذا البرغوث! لقد ندم على الخطأ الذي ارتكبه، وظل يبكي لأيام وأيام، ولقي حتفه من شدة الجوع في فراء القندس الكبير الدهني..

(١) والقندس: من الحيوانات ذات الفراء.

البخيل

كان الضفدع يمد رأسه بين آن وآخر ويقضم قليلاً من الأرض. وذات يوم سألته خنفسة لماذا أنت نحيف دائماً هكذا؟.

ـ فأجاب الضفدع: لأنني أشعر بالجوع دائماً.

ـ فتعجبت الشحرة المهذبة وقالت: ولكنك تتغذى فقط على الأرض! لماذا لا تأكل حتى تشبع؟ فقال البخيل بنبرة حزينة: لأن الأرض أيضاً يمكن أن تنفذ في يوم من الأيام.

الثـور

كان هناك ثور طليق يرتكب مآسي بين القطعان والجماعات. ولم تعد هناك شجاعة لدى الرعاة لكي يسوقوا الأغنام إلى المرعى، بسبب ذلك الحيوان المتوحش الذي كان يحضر فجأة هائجاً وقد خفض رأسه، لكي يطعن بقرونه كل ما يصادفه في طريقه.

بيد أن الرعاة كانوا يعرفون أن الثور يكره اللون الأحمر، ومن ثم قرروا في يوم أن ينصبوا له شركا.

فلفوا قطعة كبيرة من القماش الأحمر حول جذع شجرة ثم اختبأوا.

ولم يجعلهم الثور ينتظرون طويلاً، حيث حضر وهو ينفث من خياشيمه.

وعندما رأى ذلك الجذع الأحمر، خفض رأسه وانطلق في ثورة، ورشق قرونه في الشجرة محدثاً دوياً كبيراً، وأصبح عديم الحراك. وهكذا قتله الرعاة.

الجوزة وبرج الأجراس

التقط غراب جوزة وحملها إلى قمة برج شاهق. وأخذ الطائر يضرب بمنقاره حبة الجوز وهو يمسكها بقدميه، حتى يفتحها، ولكن فجأة تدحرجت الجوزة منه واختفت داخل فتحة في الجدار.

وحينئذ أخذت الجوزة تتوسل للجدار، حيث شعرت بأنها قد تخلصت من منقار الغراب القاتل وقالت:

أيها الجدار، أيها الجدار الجميل، باسم الإله الذي كان طيباً معك كثيراً حيث جعلك شاهقاً ومتيناً وغنياً بأجراس جميلة تدق دقات رائعة، ساعدني، إرأف بي!

وتابعت حديثها بقولها: كان المفروض أن أسقط تحت أفرع شجرتي حتى أستريح في الأرض الغنية المغطاة بالأوراق الصفراء. لا تتركني، أتوسل إليك! عندما كنت بين المنقار الوحشي للغراب الكاسر، نذرت نذراً وقلت: إن ساعدني الإله على أن أهرب منك أيها الغراب، فإنني أعد بقضاء بقية حياتي في فتحة صغيرة.

وهمست الأجراس همساً خفيفاً، وحذرت جدار برج الأجراس لكي ينتبه لأن الجوزة يمكن أن تكون خطرة، ولكن الشفقة كانت قد تملكت الجدار، فقرر استضافتها وسمح لها بالبقاء في الفتحة التي كانت قد سقطت فيها.

ولكن خلال فترة بسيطة بدأت الجوزة تتفتح وتنبت جذورها وسط الأحجار، ثم امتدت هذه الجذور على حين أطلت الأفرع خارج الفتحة، ونمت الأفرع وقويت وارتفعت حتى برج الأجراس، وتضخمت الجذور والتوت وبدأت في فتح الجدران وطرد الأحجار القديمة بعيداً.

وانتبه الجدار بعد فوات الأوان، إن تواضع حبة الجوز ونذرها الخاص بأن

تظل مختبئة في فتحة، لم يكونا مخلصين، وندم على أنه لم يستمع إلى الأجراس الحكيمة.

واستمرت الجوزة في النمو بقوة وعدم اكتراث، أما الجدار، الجدار المسكين، فكان يستمر في التداعي.

الحجر والطريق

ذات مرة كان هناك حجر جميل وضخم ظل لفترة طويلة يتعرض لحك الماء. وبعد أن انحسرت المياه أصبح الحجر مكشوفاً في مكان مرتفع حيث تنتهي غابة صغيرة ظليلة. ومن هناك ومن أعلى، كان الحجر يسيطر على الطريق المليء بالحصى، الممتد أسفل منه، وكانت تؤنسه كثير من الحشائش الصغيرة المنعشة العطرة، المحملة بالأزهار المختلفة الألوان.

وذات يوم نظر إلى الطريق، وراودته رغبة في أن يترك نفسه ليسقط إلى أسفل.

فيم بقائي هنا في أعلى وسط هذه الحشائش؟ إنني أريد أن أقطن مع إخواني، إن هذا يبدو أكثر صواباً.

ولما فرغ الحجر من كلامه تحرك متدحرجاً إلى أسفل، وأنهى سباقه الدائري وسط الحصى الذي كان يرغب بشدة في صحبته.

وكان هذا الطريق مسرحاً لمرور مختلف الأشياء: عربات ذات عجلات محاطة بالحديد، جياد تضرب الأرض بحوافرها، وفلاحون بأحذيتهم المزودة بمسامير ضخمة، وأسراب وقطعان، ولهذا سرعان ما وجد الحجر نفسه وسط المشاكل: فمن يقلبه، ومن يطؤه بقدميه، ومن يفصل عنه جزءاً، وأحياناً كان يتسخ كله بالطين، وأحياناً أخرى يلوث بروث أحد الحيوانات.

وتطلع الحجر إلى أعلى نحو المكان الذي كان قد هبط منه، وتنهد وتأسف على أنه ترك عزلته. وعبثاً رغب في السلام الهادىء الذي كان ينعم به ذات يوم.

هذه الحكاية تقال لأولئك الذين يأتون بحماقة من الريف حيث يستطيعون العيش في سلام وسط الخضرة والهدوء، إلى المدينة وسط أناس مليئين بالسوء والشر.

شجرة الأرز

كانت هناك شجرة أرز جميلة تنمو في حديثة مع نباتات أخرى كثيرة. وكان طولها يزيد في كل موسم، كما أن قمتها كانت تمتد إلى أعلى تجاه السماء فوق كل الأشجار الأخرى.

فقالت الشجرة وقد تملكتها الغطرسة بسبب جمالها: أزيلوا عني شجرة الجوز تلك؛ وتمت إزالة شجرة الجوز.

ثم قالت: أبعدوا شجرة التين تلك، إنها تضايقني، وتم رفع شجرة التين من مكانها.

وأضافت الشجرة وهي توجه قمتها الرائعة ناحية السماء، قائلة: ارفعوا عني شجرة التفاح هذه، وتمت إزالة شجر التفاح.

وهكذا جعلتهم شجرة الأرز يزيلون جميع النباتات الأخرى واحدة تلو الأخرى، وظلت بمفردها وأصبحت سيدة الحديقة الكبيرة.

وذات يوم هبت عاصفة شديدة من الريح، وقاومت شجرة الأرز الرائعة الجمال بكل ما أوتيت من قوة، وتشبثت بالأرض بجذورها الطويلة، ولكن الريح لم تجد نباتات أخرى في طريقها، ومن ثم ثنتها وهزتها بشدة، وفي النهاية سحقتها وجعلتها تتمدد على الأرض.

الصقر والبطة

كان الغضب يتملك الصقر في كل مرة يخرج فيها لصيد البط. لقد كان البط ينجح في أغلب الأحيان في خداعه بالغطس تحت الماء في اللحظة الأخيرة، وبقى أكثر مما يستطيع هو البقاء معلقاً في الهواء لانتظاره.

وذلك الصباح فكر الصقر في أن يعيد الكرة. وبعد أن دار دورات كثيرة ناشراً جناحيه لدراسة الموقف، وبعد أن وقع اختياره على البطة التي يمسك بها، هبط إلى أسفل مثل النيزك الضخم. ولكن البطة الأسرع منه، غطست في الماء برأسها.

فصاح الصقر وقد تملكه الغضب قائلاً: سألحق بك في هذه المرة، وغطس هو الآخر.

وحين رأته البطة أسفل الماء التوت وصعدت إلى أعلى وفردت جناحيها وأخذت تطير. ولكن الصقر المبتل الريش، لم يستطع استئناف الطيران.

وحلقت البطة من فوقه وقالت له:

وداعاً أيها الصقر! إنني أعرف كيف أبقى في السماء، ولكنك تغرق في مياهي!

الكرمة والشجرة المسنة

كانت هناك كرمة أرادت أن تشعر بأمان أكثر فالتصقت بجانب شجرة مسنة. وكانت زميلاتها المتجمعات على الأعمدة التي غرسها لها الفلاح خصيصاً في الأرض، تسألها قائلة:

ولكن لماذا اخترت شجرة مسنة كسند لك؟ وإذا ماتت، ماذت ستفعلين؟

وكانت الكرمة لا تكترث بما تقوله زميلاتها لاقتناعها ورضائها بما اختارته. وكانت تزيد من التصاقها بالجذع العجوز، وهي متأكدة من أنها ستعيش فترة أطول من شجيرات العنب الأخرى في المزرعة بأسرها.

ولكن الشجرة كانت تحمل على كاهلها سنوات طويلة من العمر، فقد كانت طاعنة في السن لدرجة أنها لم تعد تقدر على تحمل أي شيء. فكانت تترنح أمام كل لطمة ريح، كما أن الكثير من أفرعها كان قد جف، وذات يوم سقطت وتمددت بطولها في الحقل محدثة دوياً هائلاً. وهلكت معها الكرمة التي كانت تحتضنها دائماً، وماتت مسحوقة تحت جذعها.

الأسد والحمل

ذات يوم، أحضروا الطعام لأسد حبيس في قفصه، وكان عبارة عن حمل صغير.

لقد كان هذا الحمل بريئاً ومتواضعاً لدرجة أنه لم يخف من الأسد، بل اقترب منه كما لو كان أمه، ونظر إليه بعينين مفعمتين بالورع والدهشة.

ولم يجد الأسد في نفسه الشجاعة ليقتله بعد أن جردته هذه البراءة التي تبعث على الثقة، من وحشيته، وظل يعاني من الجوع.

الخلد

كان الخلد يتمشى تحت الأرض عبر الممرات الطويلة التي كانت عائلته قد حفرتها ونظفتها في سنوات طويلة من العمل.

وكان يروح ويغدو ويصعد إلى أعلى ويهبط إلى القبو، كما لو كان يتمتع بنظر حاد للغاية، ولكن على العكس، فمثله مثل بقية حيوانات الخلد عيناه صغيرتان ونظره ضعيف.

وفي النهاية دخل إلى ممر مجهول وتابع سيره.

فصاح صوت من الطابق الأسفل: قف، هذا الممر يؤدي إلى الخارج، إنه خطر!.

ولكن الخلد استمر في سيره، حتى وجد نفسه داخل كومة من التراب الناعم الرطب.

فرفع رأسه إلى أعلى وخرج ولكن ضوء الشمس الذي يشبه وميض الصاعقة، قتله.

والكذب مثل حيوان الخلد، يمكن أن يعيش فقط إذا ظل مختبئاً: وبمجرد أن يظهر إلى النور لكي يكشف عن نفسه، يلقى حتفه.

النسر

ذات يوم نظر النسر إلى أسفل من عشه الشديد الارتفاع، ورأى بومة.

فحدث نفسه قائلاً: ياله من حيوان مضحك. بالتأكيد ليس هذا بطائر.

ودفعه الفضول، وفتح جناحيه الكبيرين وبدأ يهبط بسرعة.

وعندما اقترب من البومة، سألها:

من أنت؟ وما إسمك؟.

فأجاب الطائر المسكين وهو يرتجف ويحاول أن يحتمي بأحد الأفرع: إنني البومة.

فضحك النسر وهو يتابع تحليقه حول الشجرة وقال: ها، ها! كم أنت مضحكة. إنك عبارة عن ريش وعينين. وتابع حديثه قائلاً وهو يقف على أحد الأفرع: فلنر قليلاً. فلنر عن قرب كيف خلقت. أسمعيني صوتك بطريقة أفضل. إن كان جميلاً مثل وجهك، فيجب أن أَسُدَّ أذني.

وفي هذه الأثناء كان النسر يحاول بمساعدة جناحيه أن يشق طريقه بين أفرع الشجرة حتى يقترب من البومة.

ولكن أحد الفلاحين كان قد دهن بعض هذه الأفرع بالدِّبق التي يلتقط الطيور.

وفجأة وجد النسر جناحيه قد التصقا بالشجرة، وكلما جاهد ليخلص نفسه، زاد ريشه التصاقاً.

وقالت البومة:

أيها النسر، سيأتي الفلاح بعد قليل، وسيقبض عليك وسيحبسك في قفص. أو يقتلك حتى ينتقم لحملانه التي أكلتها. أنت الذي تعيش في السماء بعيداً عن أي خطر ما الذي دفعك للهبوط إلى أسفل لكي تهزأ بي؟

شجرة الصفصاف والكرمة

شجرة الصفصاف هي شجرة تنمو بسرعة وبكثرة. وبراعمها تمتد على مدى النظر وتتخطى براعم جميع النباتات الأخرى.

وذات يوم رغبت في أن تكون لها صحبة فقررت أن تتزوج الكرمة.

وقالت لها إحدى زميلاتها: إنها حماقة. إننا نحن معشر الصفصاف قد ولدنا لننمو ونتخطى كل النباتات الأخرى. ماذا ستفعلين بكرمة إلى جوارك؟

ولكن الزواج حدث بالفعل؛ واتحدت شجرة الصفصاف مع الكرمة، أو بعبارة أخرى، وافقت على أن تسند الكرمة أفرعها على جذعها.

ولكن الكرمة كانت تعطي عناقيد جميلة من العنب، على حين لم تكن هناك ثمار لشجرة الصفصاف. وذات يوم وجد الفلاح أن الكرمة ملتصقة بشجرة الصفصاف، وأراد أن يمنع الشجرة من أن تجذبها إلى أعلى وتقتلعها من جذورها ففكر في تشذيبها معاً.

وهكذا كان الفلاح الحكيم يقوم من سنة لأخرى بتقليم أفرع شجرة الصفصاف المتعاظمة. وكانت شجرة الصفصاف العاجزة المشوهة، تستخدم فقط في سند عناقيد العنب الخاصة بصاحبتها السعيدة الحظ.

البيضة المسروقة

ذات مرة، كان هناك عشان لطائر الحجل في أحد البساتين: وكان أحدهما في أعلى شجرة سرو، على حين كان العش الآخر فوق شجرة زيتون.

وفي يوم الأيام سرق الطائر الذي كان يسكن شجرة السرو، بيضة من الآخر الذي كان يعشش فوق شجرة الزيتون، ليضيفها إلى البيض الذي كان يرقد عليه.

وبعد فترة من الزمن فقس البيض في العش وأصبح لكل طائر منهما، صغاره التي أخذت تكبر وتكتسي بالريش حتى جاء يوم الطيران الأول العظيم.

وكان الصغار الذين يسكنون شجرة الزيتون يلقون بأنفسهم إلى أسفل واحداً تلو الآخر ويخفقون بأجنحتهم حول الشجرة، ثم يعودون سعداء إلى العش.

وكذلك الصغار الذين يتخذون عشهم فوق شجر السرو، كانوا يلقون بأنفسهم إلى أسفل واحداً بعد الآخر، ويخفقون بأجنحتهم في البستان. ولكن واحداً منهم، بدلاً من أن يعود إلى شجرة السرو، طار حتى العش الموجود فوق شجرة الزيتون.

لقد كان هو الطائر الذي فقس من البيضة المسروقة، والذي عاد بدافع الغريزة إلى أمه الحقيقة.

٤٢

العنكبوت والزنبور

انتهى المطاف بعنكبوت، إلى مكان يرتاده الذباب، فعكف على الفور على عمله حتى يمد شباكه. واختار فرعين كنقطتي ارتكاز، وبدأ فوراً في الرواح والغدو كالمكوك بين النقطتين وهو ينسج خيوطه الفضية حتى بنى بيتاً كثيفاً. ولما انتهى من العمل، ذهب ليختبيء خلف إحدى أوراق الشجرة.

ولم يدم الانتظار طويلاً، فسرعان ما سقطت ذبابة فضولية في الشبكة، ولاحظها العنكبوت والتهمها.

ولكن الزنبور الذي كان قد شاهد كل هذا من تويج إحدى الزهرات، طار تجاه العنكبوت ووخزه بحمته.

• • •

ملحـــق

مختـــارات معاصـــرة

في نهاية سلسلتنا هذه «الأمثال والحكم في آداب الشعوب والأمم»، وبعد أن عرضنا للحكمة في تراث سائر الشعوب ومنذ غابر الأزمنة، نلحق مختارات معاصرة، إثباتاً أن مضمون الخرافة أو المثل كان وما زال وسيبقى واحداً، إذ المنطلق واحد هو النصيحة والموعظة، والغاية واحدة هي صلاح الإنسان من خلال تدبير وتبصر بعواقب الأمور.

في ملحقنا هذا نعرض نماذج من شعر إبراهيم العرب وكان قد نشر تحت عنوان «آداب العرب» في القاهرة عام ١٩١٢، وكذلك نماذج من شعر أحمد شوقي على لسان الحيوان، نشر في القاهرة كذلك في الثلاثينات.

١

الغرابُ والبلبلُ

سكنَ الغرابُ وبُلْبُلٌ ... داراً بِهَا حَلَّتِ الإقامَةْ
وكِلاهُما قد ضَمَّهُ ... قَفَصُ الحَفَاوَةِ والكرامةْ
لِلْبُلْبُلِ التَّغْرِيدُ مَا ... أَحْلَى على النفس انسِجَامَهْ
يَشْدُو ويلعبُ بالقُلُو ... بِ وبالنُّهَى لَعِبَ المُدَامَةْ
أَلْهى بنغمةِ صوتِهِ ... أصحابَه فنسُوا طَعَامَهْ
فَأَمَاتَه جُوعٌ غدا ... مَعْهُ الغرامُ هُو الغَرَامَةْ
وقَضَى قتيلَ حَيائِهِ ... وبِصَوْتِه حُرِمَ السّلامَةْ
أَمَّا الغرابُ فإن يَجُعْ ... قامتْ لصَيْحتِهِ القيامَةْ
فلِذاك ما مِنْ لَحظةٍ ... إلاَّ ومأْكَلُهُ أمامَهْ
هذا قبيحٌ نعيقِهِ ... في الدارِ بلَّغَهُ مَرَامَه
والبُلْبُلُ الشادي لحُسْنِ نشيدِه لاقى حِمامَهْ
سُبْحانَ من قسمَ الحظو ... ظَ فلا عِتَابَ ولا مَلامَةْ

الليثُ والفيلُ

أرادَ لَيثٌ هَصُورٌ أن يضُمَّ إلى ... أملاكِهِ مِلْكَ فِيلٍ عَزَّ موضِعُهُ
ولم يَشَأ حَربَهُ كي لا تقومَ بها ... عليه للفيلِ أنصارٌ فتمنعُهُ
أمضَى إليه وزيراً ثعلباً فَطِناً ... عند المهماتِ يدعوهُ فينفعُهُ
فأحضَرَ الفيلَ في ركبٍ يبجّلُهُ ... وبالَغَ الليثُ بالإكرام يخدعُهُ
وغرَّهُ بعباراتٍ مُمَوَّهةٍ ... وفي اقتسامِ الأراضي باتَ يُطْمِعُه
وقال إنّي نويتُ الغزوَ فانْوِ مَعِي ... وما أَصَبْنَا، إلَيْنا كان مرجعُهُ
فما أجاوِرُ من وَعْرٍ سأُقْطَعُهُ ... وما تجاورُ من سهلٍ ستُقطَعُهُ(١)
فأمضيا الشرطَ لمّا استحسناهُ معاً ... وراقَ في عَيْنِ هذا الغِرّ موقِعُهُ(٢)
وأصبح الليثُ مالاقاهُ يفرِسُهُ ... وأصبحَ الفِيلُ مالاقاهُ يَصْرَعُهُ
وداوَلاَ الفتكَ حتى لم يُقِمْ أحدٌ ... إلاّ وصار خلاءً منه مرتَعُهُ
وبعد ذلك رامَ الفيلُ قِسْمَتَهُ ... فكان في طلب التقسيم مَصْرَعُهُ
وقال في نَزْعِهِ والأمْرُ مرتبِكٌ ... قولاً من الحِكَم الغرّاءِ منبَعُهُ
أوتيتُ ملكاً ولم أُحسِنْ سياسته ... كذاكَ من لا يسوسُ الملكَ يُخلَعُهُ(٣)

---

(١) أُقْطَعُهُ وتُقْطَعُهُ أي أملكه وتملكه.
(٢) الغِرّ: المغفل.
(٣) يُخْلَعُهُ: يخلع منه.

الفتاةُ والنحلةُ

فتاةُ حُسْنٍ ذاتُ دَلٍّ يَبْهَرُ ... كانتْ على كلِّ الحِسانِ تَفْخَرُ
أَكبرُ شيءٍ شاغلٌ نُهَاها ... أَنْ تخدِمَ الحُسْنَ الذي حلاَّها[١]
تَلْبَسُ في المَسَاءِ ما لم تَلْبَسِ ... وقتَ الصَّبَاحِ من ثيابِ السُّنْدُسِ
إذا مشت فمِشْيةُ اختيالِ ... لِسُكْرِها من خمرةِ الدَّلاَلِ
تمضي وتنثني إلى المرآةِ ... في الساعةِ المرَّةَ والمرَّاتِ
وبينما تلكَ الفتاةُ تنظرُ ... فيها وقد رقَّتْ وراقَ المنظَرُ
إذا بِنَحْلَه تدانَتْ منها ... وقد تلاهَتِ الفتاة عَنْها
حَطَّتْ على مَبْسَمِها النضيرِ ... ولَسَعَتْها لَسْعَةَ السَّعِيرِ
فأَغولتْ واستصرختْ من الألَمْ ... فجاءَها بسرعةٍ كلُّ الخَدَمْ
فأَخذُوا النحلةَ للعِقابِ ... بلا سُؤَالٍ وبلاَ جوابِ
فقالت النحلةُ يا أصحابُ ... ليس لمثلي ينبغي العِقابُ
رأيت في مبسَمِها احمرَارا ... ظَنَنْتُهُ في ثَغرِها أزهَارا
وليسَ بين رِيقها وشهْدِي ... فرقٌ فكيف لا أراه وِرْدِي[٢]
فأَطربَ الجوابُ تلك العَذْرَا ... وعندَها قالت قَبِلتُ العُذرا
سامَحْتُها في لَسْعِها الخفيفِ ... كرامةً لقولِها اللطيفِ
فانظرْ إلى حلاوةِ اللِّسَانِ ... والسحرُ في المنطِقِ والبيَانِ
فَرُبَّ لفظةٍ أفادتْ نعمَهْ ... ورُبَّ لفظةٍ أتتْ بِنِقْمَهْ

(١) نهاها: تفكيرها وعقلها.

(٢) الوِرْدُ: حيث ترد وتقصد به ثغر الفتاة كالأزهار.

وحشُ الجبلِ والطيورُ

حِكَايةٌ عن غَنِيٍّ مَالَهُ عَمَلُ حُبُّ التظاهرِ في الدنيا لهُ شُغُلُ
بَدا له أنَّ دعوى العلمِ رائجةٌ منه إذا باتَ للآدابِ ينتحِلُ
فأحضر الكتبَ لا علمٌ لديه سوى أن الكتابَ خفيفٌ أو به ثِقَلُ
وصار يَحْضُر أَهْلُ العِلمِ ساحتَهُ على موائِدَ فيها السمنُ والعَسلُ
ومِنْ عوارِفِه لا مِنْ معارِفِه صارت تُصَبُّ على راحَاتِهِ القُبَلُ
ولا مُعارِضَ منهم إنْ بدا خطأٌ ولا مُجادِل فيهم إن بدا خَطَل(١)
ويَرجعون إليه في العلومِ وما لَدَيْهِ مِن كأسِها نَهْلٌ ولا عَلَل(٢)
وبالتَملُّق قالوا لم نجِدْ أحداً جاراك في العلمِ حتى النخبةُ الأُوَلُ(٣)
فصار يَعْجَبُ كيف المالُ أبلَغَهُ تلك المكانَة والجُهّالُ لا تصِلُ
وأبصرَتْ عينُهُ إذ ذاك وحشَ فَلاً كلُّ الطيورِ له تسعَى وتحتفِل
تشدو بأصواتها والوحشُ يَسْمَعُها بلذةٍ وهو مِن تغريدِها ثَمِل(٤)
إذا أجادتْ أمال الرأسَ مُضطَرِبا أَوْ لم تُجِدْ كان منه الرأسُ يعتَدِلُ
حالٌ رأى الجاهلُ المَثْرِي بها عجباً وحادثٌ رِيعَ منه ذلك الرجُل
فقال كيفَ طيورُ الجوِّ يرأسُها وحْشٌ ويرهَقُها حُكْما فَتَمْتَثِلُ
فقيل ذاك لأن الوحش يُطْعِمُها مما يَصيدُ وما مِن طَبْعِهِ البَخَل

---

(١) خطل: خفة وسرعة.
(٢) النهل والعلل: الشرب الأول والثاني.
(٣) التملق: التلون وكسب الود.
(٤) ثمل: منتشي.

من أَجْلِ ذاكَ أَجلُّوه ولستَ ترى … بينَ البريةِ حُبًّا ما له عِلَلُ[1]

أنظر لنفسِك أسديت الصنيع إلى … قوم فَصِرْتَ وأنت السيدُ البَطَلُ

والناسُ مَنْ يَلْقَ خيراً قائلونَ لَهُ … ما يشتَهِي ولأُمِّ المخْطِيءِ الهَبَلُ

---

(١) أجلّوه: احترموه وقدروه.

الملكُ والراعيان

بعضُ الملوكِ مُلْكَهُ قد ارتبَكْ فصار يشكُو ما جرَى بِهِ الفَلَكْ
إذا أرادَ الـخيـرَ لـلـرّعـايـا لـم تأْتِه منهم سوى الرزايا
وإن يُرِدْ سلما يلاقى حَرْبا وإن يُرِدْ سَهْلاً يقابِلْ صَعْبا
وبينما ينظرُ في البِقاعِ إذا بـأغـنـامِ يـلـيـهـا رَاعـى
تمشِي بهاتيكَ الرُّبى حَيَارى كأنها من جوعِهَا سُكارى
وَهْوَ وَحِيدٌ مالَهُ مُعينُ في قفرةٍ ليسَ بها قطينُ
وكلما سارَ رأى الذِئابا تأخذُ منه الغنم اغتِصابا
فعندما عايَنَهُ المليكُ قال إذَنْ لي في الورَى شريكُ
إن الرُّعاة كالملوكِ تعبَا لم يَبْلُغوا من الزمانِ أربا[١]
الهمُّ في الدنيا بلا نزاعِ سِيَّانَ فيه مَلِكٌ وراعِ
وبعدَ أن مَرَّ زمانٌ قَدِمَا أرضاً رأى فيها لِرَاعٍ غَنَما
وهذه الأرضُ من الربيعِ قد كُسِيَتْ بالسندُسِ البديعِ
والشاءُ فيها آمناتٌ تَرتَعُ مع النتاجِ لا ترَى ما يُفْزِعُ[٢]
بطيئةُ المشيِ ثقالُ الجسْمِ لِما عليها من كثيرِ الشحْمِ
وكان راعيها يغنّي طَرَبا في ظلّ أغصانٍ تَهزُّها الصَّبا[٣]
قال بلا شكٌ وعن قريبِ أرَى القَطيعَ مَغنما للذّيبِ

(١) أرب: غاية وهدف.
(٢) الشاء جمع شاة: العنزة.
(٣) الصبا: ريح الشمال.

وجاءَ ذئبٌ يبتغِي اختطافا فقام كلبٌ وحَمَى الخِرافا

وهبّ كلبٌ غيرهُ سَريعا يَذرأُ مَنْ يهدّدُ القطيعا

فدُهِشَ المَلْكُ وقال عَجَبْ رعيةٌ غفلٌ وراعٍ طَرِبْ

يأيها الراعِي أتثوى لاهِيا بينَ الخطوب تنشدُ الأغانيا[1]

فقال يا مولايَ كلُّ حازِمِ من الوُلاةِ في هناءٍ دائمِ

إني انتقيتُ أصدقَ العُمّال لِكلٍّ أعمالي فقرَّ بالي

أخَذْتُهُمْ على الأعادي حِزبا من خَشِي الذئبَ أعَدَّ كَلْبا

(١) تثوي: تقيم؛ الخطوب: المصائب والدواهي.

الدرويش والقُبّرَة والصّقر

قد ادَّعى الزهدَ في دنياهُ إنسانُ وباتَ وهوَ عَدُوُّ السَعيَ كَسْلانُ
وقد تزَيّا بزيِّ الناسكين بِلا نُسكٍ وأَضحى وَليًا وهُوَ شيطانُ
وصار يسألُ فضلَ الناسِ تَقْذِفُهُ إلى التسوُّلِ أمصارٌ وبُلدانُ
فذاتَ يومٍ رأى في العُشِ قُبَّرةً صغيرةً ما لها حَوْلٌ ولا شانُ
وأبصر الصّقرَ يسعَى بالنشاط وفي مِنقارِهِ من صنوف الحَبِّ ألوانُ
فصار يُطْعِمُها حتى إذا عَطِشَتْ أتى بماءٍ زُلالٍ وهو جذلان
فقالَ في نفسِهِ الدرويشُ معتبراً يا رَبُّ أنت بِكل الخلقِ رَحمْنُ
عَمَمْتَ يا رَبُّ بالنعْمى فلا أحدٌ إلاَّ وأنْتَ لهُ في الضيقِ مِعْوانُ
جَعَلْتَ في قلبِ أقسى الطيرِ مرحمةً على الضعيفِ وهذا منك إحسانُ
فالآن أنعُسُ ملءَ العينِ مُتكلاً ما دام يُرزَقُ يقظانٌ ووسْنَان[1]
فلازمَ الكَوْخَ لم ينهَض لرزقِ غدٍ وباتَ وهو خلِيُّ البطنِ خَمصَان[2]
وكلما مَرَّ حِينٌ غرَّهُ أملٌ وكم بآمالِهِ يَغْترُّ إنسَانُ
وشاهدَتْ عينُهُ في نظرةٍ عَرَضت عُشَّ الطيورِ وفيه الصَّقْرُ غضْبَان
يدعو ربيبَته هُبّي إلى عملٍ تَقْضِينَه فَضَياعُ الوقتِ خُسْرَان
إني أُعِيْنُ بنفسي كلَّ ذي وَهَنٍ ولا أعينُ الكُسالى أينما كانوا[3]
خلائقُ اللهِ أعوانُ النشيط وَهُمْ على الفتى القاعد المحروم أعوان

---

(١) وسنان: نائم.
(٢) خصمان: شديد الجوع.
(٣) وهن: ضعف.

وطارَ من بعد ما أدّى مواعظَ لا يصـوغُ أمثالَها قُسٌّ وسَحْبان[1]
فأدرك الرجلُ الدرويش متعِظاً أن التنسكَ دونَ السعيِ حِرْمان
لن يُرْزَقَ المرءُ عونا في مطالِبِهِ إلا إذا ما اغتدى والسعيُ مِعوان
دعِ التكاسُلَ في الخيراتِ تطلُبُها فليس يَسْعَدُ بالخيراتِ كَسْلانُ

(١) قس بن ساعدة وسحبان وائل وكلاهما من أئمة البيان في اللغة.

الصُرصُر

قد كان في روضٍ أنيقٍ صُرصُرُ — مختبِىءٌ في تُرْبةٍ لا يَظْهَر
رأى فَراشةً بهِ تطِيرُ — من زَهرةٍ لِزَهرةٍ تسِيرُ
وكلما تختالُ في البُستانِ — تسبِي النهى بحسنِها الفتَّنِ
فحزِن الصرصرُ لما شهِدا — جمالَها وبات يبكِي حَسَدا
وقال فرَّقَ بينها وبيني — لحُسْنِ عينِها وقبْحِ عيني
وليسَ مثلِي من ذوِي القرائحِ — ولا أنا صاحبُ عقلٍ راجحِ
وليس لي في العالَمينَ ذِكْرُ — وعَلَّ عندهم وجودِي نُكرُ
وبينما يهجسُ هذا الهاجسُ — في فكرِهِ وكلُّه وساوِسُ
رأى ثلاثةً من الغِلْمانِ — وراءها يجرُون في البستانِ
جَرَوْا وكلٌّ مُولَعٌ بخَتْلها — لأنها أغْرَتْهُمْ بشكلها[1]
وأوقعوها في شِراكِ الصائدِ — بحيلةٍ بعد عناءٍ زائدِ
وشدَّ ذا الرأسَ وذا الأوراكا — وأوردُوها الحتفَ والهلاكا
وشاهد الصرصرُ هذا فاعتَبَرْ — وقال إن العُجْبَ آيةُ العِبَرْ
وكلُّ مَن يظهرُ بين الناسِ — بالفضل كم قاسَى وكم يقاسي
أشهَدُ أن الاختفاءَ جُنّه — من كل شرٍ والظهورُ جِنه[2]
وقد سمعتُ مَثَلاً مشهوراً — حُب الظهورِ يَقصِمُ الظُّهورا

---

(١) ختلها: خداعها.

(٢) جُنة: وقاية، وجِنّة: جنون.

العالم والمزارع

قصةُ فلاحٍ حكيمٍ فَطِنِ ... مُحنَّكٍ يَدْرِي بِسرِّ الزَمنِ
تقصِدُه الناسُ من البلادِ ... في طلب الحكمةِ والإرشادِ
تراهُمُ لديهِ في جلوسِهِمْ ... كأنما الطيرُ على رؤوسِهِمْ
وكان كلُّ جملة يقولُها ... سُلافَةٌ تُسْكِرُهُمْ شَمولُها(١)
وكلُّ إرشادٍ وكلُّ وَعْظِ ... يلعَبُ بالعقلِ لِسحرِ اللفظِ
يَمَّمَهُ فتًى من الأخيارِ ... قَدْ دَرس العلمَ بِلا اختبارِ(٢)
قال له عمَّنْ أخذتَ الحِكْمَهْ ... ومَنْ تكونُ من رجال الأمَّهْ
أجاب ما اتخذتُ لي أستاذا ... ولا جَعَلْتُ الكتبَ لي مَلاذا
بل حكمتي في فكرتي المطيعَهْ ... هذَّبتُها بخبْرةِ الطبيعَهْ
عينُ الفتى لعقلِهِ دليلُ ... وعقلُهُ لذاتِهِ تكميلُ
وكم لنا في الحيوانِ الأعجمِ ... علمٌ صحيحٌ للذي لم يَعْلَمِ
عن الحمَامِ قد أخذتُ الإلفَهْ ... فارتفعتْ بها شروطُ الكُلْفه
والنملُ قد أفادني ادّخارا ... والثورُ قد أكسبني اصطبارا
ورِقَّةُ الطبعِ من النّعاجِ ... ورأفةُ القلبِ من الدَّجاجِ
وقد أَخَذْتُ عن كلابِ الدورِ ... تيقُّظي لِعُقبةِ الأمورِ
فصرت شيخاً عاقلاً حكيما ... بِكُلِّ أحوالِ الورى عليما
عاشرتُ أقوامي على المناصَحَهْ ... عاملتُ من عاملتُ بالمسامَحَهْ

---

(١) سلافة: خمر.

(٢) يممه: جاء إليه.

فَنِلْتُ حُبًّا من جميعِ الناسِ وسُسْتُهم بالحلمِ والقِسطاس[1]
البَأسُ من نتائج المصاعبِ وحجةُ العقولِ في التجارِبِ

(١) سُسْتهم: عاملتهم.

البلبلُ والراعي

حَـلَّ راعٍ يـومـاً بِـرَوْضٍ أريـضٍ   نـاضـرِ الـزهـرِ ذي مـيـاهٍ عِـذابِ
حـولَ أشـجـارِهِ الـجـداولُ تـجـري   كخلاخيلَ في كعوب الكعابِ[1]
نَـظَـرَ الـبـدرَ فـي الـسـمـاء جـلـيًّـا   لـم يُعارِضْهُ عارِضٌ من سحابِ
فـأطـالَ الـجـلـوسَ يـنـظـر بـالـفِـكْـرةِ آلاءَ رَبِّـهِ الـوهَّـابِ
وإذا بُـلـبُـلٌ عـلـى الأيـكِ يـشـدو   يَـمْـلِـكُ الـسـامـعـيـن بـالإعـجـابِ
بـعـد أن غَـرَّدَ الأغـاريـدَ حـيـنـاً   كـفَّ عـنـهـا وصدَّ بَـعْـدَ اقـتـضـابِ
فـدعـاهُ الـراعِـي وقـال رُوَيْـداً   قَـطْـعُـكَ الصوتَ لم يَكُنْ بصوابِ
هـل لِـتَـرْكِ الـنـشـيـدِ يـا بـلـبـلَ الأفـراحِ دَاعٍ جُـدْ لـي بـردِّ الـجـوابِ
قـال مـا دامـتِ الـضـفـادعُ هـذي   فـي نَـعـيـقٍ مـالـي ولـلإطـرابِ
قال دَعْـهـا تـهـذِي وتـهـرِفُ جـهـلا   فهي ليست معدودةً في الحسابِ[2]
فـامْـضِ فـي شَـدْوِكَ الـرقـيـقِ وغَـرِّدْ   لا يَـضُـرُّ الـسـحـابَ نَـبْـحُ الـكـلابِ

---

(١) الكعاب: الأبكار.

(٢) تهرف: تبالغ في المديح والثناء.

الغلامُ والمرآة

قد شبَّ في إحدى القُرى غُلامُ — لم تُعطِهِ كما لَهُ الأيامُ
فَنَظَرَ المِرآةَ وهو يخطو — ولم يَكُنْ قبلاً رآها قطُّ
فَزَاد حيرةً بمرأى ذاتِهِ — لما رأتها العينُ في مِرآتِهِ
وحين أبدى ثَغْرُهُ ابتسامَهْ — صوَّرَها الشكلُ الذي أمامَهْ
فعاجَلَتْهُ عند ذاك فِكْرَهْ — كعادة الأطفال أَخْفَتْ بِشْرَهْ
فغيَّرَتْ صورَته في الحالِ — وغادرتْهُ ضحكةُ الأطفالِ
فزادَ في نفورِهِ من شكلِهِ — لأنه قلَّدهُ في فِعْلِهِ
وهَمَّ في الحال بلا أناةِ — فحطَّمَ الشكلَ مع المِرآةِ[1]
وصار يشكو نصَباً من فعله — وما جنى عليه غيرُ جَهْلِهِ[2]
فوافَتِ الأمُّ وضمَّتْ صدْرَهُ — وقبَّلتْ من الحنانِ ثَغْرَهُ
قالت له ألَسْتَ أنتَ البادِي — وهل سوى نفسِك كان العادِي
أجابها أنا الذي شرعتُ — فما له يَصْنَعُ ما صَنَعْتُ
قالت له لقد ركِبْتَ الوهما — وإنما رَأَيْتُ منك الرسما
وذلك الشكلُ الذي تأْباهُ — كلُّ الذي أجريتَهُ أجراهُ
الآن فانظُرْهُ وأنت مُبْتسِمْ — تَجِدْهُ أيضاً بالسرورِ يَبْتَسِمْ
فإن فَعَلْتَ الخيرَ تَلْقَى خيرا — وإن فَعَلْتَ الضيْرَ تَلْقَى ضَيْرا
فالمرءُ مجزِيٌّ بكلِّ ما فَعَلْ — إن الجزاءَ الحقَّ من جِنْسِ العَمَلْ

---

(١) بلا أناة: بلا روية.

(٢) نصباً: إعياء وتبرُّما.

العُصفورُ الكنارية[1] والحسون

دسّ فتًى من صادةِ الأطيارِ ‏ بيضةَ حسُّونٍ على كَنَارِ
فبقيتْ كبيضِهِ في العُشّْ ‏ وما درَى بأمر ذاك الغشّْ
حتى انجلَتْ وفرخُها في النقفِ ‏ فكان للأفراخِ خيرُ إِلْفِ
ما بين أمٍّ تعتني ووالدِ ‏ يعودُها بِصِلَةٍ وعائِدِ
ويُطْعِمُ الجميعُ بالترتيبِ ‏ وللبعيدِ أسوةُ القريبِ
وكلُّها على فراشٍ واحِدِ ‏ مضطجعٌ كأخوةٍ لوالِدِ
حتى إذا ما عَظُمتْ قُواها ‏ ودَرَجَت تحمِلُها رجلاها
لم تُرِ فيما بينها من فَرْق ‏ والحبُّ يُعمِي عن طريق الحق
وبينما الجميعُ في الرياضِ ‏ وكلّ إلفٍ عن أخيه راضي
وقد رأى الحسُّونُ هذا أهلَهُ ‏ في الروضِ لا يخالفون شكلَهُ
والبعضُ منهمْ قال يا ابنَ جنسي ‏ ما اخترتَ من قومٍ فَدَتْكَ نفسي
إنك في صُحبَتِهِمْ مَغبونُ ‏ فلا خَلَتْ من رأسِكَ العيونُ
أما ترى لونَهُمُ المصفَرّا ‏ ولونكَ المخالِفَ المُخَمرّا
إلى متى بالغَيِّ والتصابِي ‏ أَهْلَكَ تَسْتَبْدِلُ بالأصحابِ
إنّا على البِعادِ والتفرُّقِ ‏ لنلتقِي بالأصل إن لم نَلْتَقِ
ومَنْ يَكُنْ يَصحَبُ غيرَ جنسِهِ ‏ فجاهلٌ واللهِ قدرَ نفسِهِ
فقال قد صَحِبْتُها طويلا ‏ فلم أجد لوِدِّهَا مثيلا

(١) الكنارية: عصفور ملون.

فإن تكن أشكالُنا مختلِفهْ   فهـذه قـلوبُـنـا مـؤتـلِـفَـةْ

حاشاي بعد الودّ أن أكونا   لـمـن مُـنِـحْـتُ ودَّه خـؤونـا

رُبَّ ابنِ عمٍّ ليسَ بابن عمّ   رُبَّ أخٍ لِي لم تَلِدْهُ أمي

البُومةُ والحمامةُ

شكَتْ بُومةٌ أن لا حبيبٌ ... ولا بعلٌ ولا خِلٌّ صدوقُ
وقالت قد كَبِرْتُ وهُدّ جسمي ... وخانَتْنِي المفاصِلُ والعرُوقُ
فلا أحدٌ يزورُ عجوزَ دَهْرٍ ... وإنْ زاروا فإني لا أُطيقُ
فجاءتْها الحمائمُ باكياتٍ ... ومَدْمَعُها بشكواها طليقُ
وقالت قد سَمِعْتُ فذابَ قلبي ... ولي قلبٌ من الشكوى رقيقُ
فما لكِ والشَّبيبَةُ قد تولَّت ... ولا ثمرٌ ولا غصنٌ ووريقُ
رضيتِ بالانفرادِ فلا قريبٌ ... ولا زوجٌ ولا وَلَدٌ شفيقُ
أجابَتْ في الزواجِ أذى وضُرٌّ ... وفي الأولادِ شرٌّ أو عقوقُ
وما قَصْدُ القريبِ سوى جِمامي ... لِنَيْلِ الإرثِ فهو لَهُ طريقُ(١)
أجابَتْها إنَّ هذا ... كلامٌ بالأُلى يَئِسوا خَليقُ
خذي لكِ في الحياةِ خليلَ صِدْقٍ ... فبالأحبابِ يَتَّسِعُ المضيقُ
فقالَتْ ليسَ في الأحبابِ خيرٌ ... وكلٌّ نحوَ غايَتِهِ مَشوقُ
فقالتْ بل همومٌ عيشُ منْ لم ... يعاوِنه على البَلْوَى رفيقُ
خذِي لكِ صاحِباً من بيتِ مَجْدٍ ... فليس يخونُكِ الأصلُ العريقُ
وغُضّي الطرفَ إن لاحَتْ عيوبٌ ... من الرُّفَقَاءِ أو هُضِمَتْ حقوقُ
ومن يَبْغِ الصديقَ بغير عَيْبٍ ... سيبقى الدهرَ ليس لَهُ صديقُ

(١) الجمام: الموت.

من شعر أحمد شوقي

على لسان الحيوان

١

العصفورُ والغديرُ المهجور

أَلَـمَّ عُـصْـفُـورٌ بِـمَـجْرىً صـافِ	قدْغابَ تحتَ الْغابِ في الأَلْفافِ
يَسْقِي الثَّرَى مِنْ حَيْثُ لا يدرِي الثَّرى	خَشْيَةَ أَنْ يُسْمَعَ عنهُ أو يُرَى
فاغْتَرَفَ الْعُصْفُورُ مِنْ إِحْسَانِهِ	وحَرَّكَ الصَّنِيعُ مِنْ لِسَانِهِ
فَقالَ يا نُورَ عُيُونِ الأَرْضِ	ومُخْجِلَ الْكَوْثَرِ يَومَ الْعَرْضِ
هلْ لَكَ في أَنْ أُرْشِدَ الإنسانا	لِيَعْرِفَ المكانَ والإمْكانا
فينْظُرَ الْخَيْرَ الَّذِي نَظَرْتُ	ويشكرَ الْفَضلَ كما شكرْتُ
لعلَّ أَنْ تُشْهَرَ بالْجَمِيلِ	وتُنْسِيَ النَّاسَ حَدِيثَ النِّيلِ؟
فالْتَفَتَ الْغَدِيرُ بالعُصْفُور	وقالَ يَهْدِي مُهْجَةَ الْمَغْرُورِ
ياأَيُّها الشَّاكِرُ دُونَ الْعالَمِ	أَمْنَنْكَ اللهُ يدَ بْنِ آدمِ!
النِّيلُ فاسْمَعْ وَافْهَمِ الْحَدِيثا	يُعْطِي ولٰكِنْ يأْخُذُ الْخَبِيثا!
مِنْ طُولِ ما أَبْصَرَهُ النَّاسُ نُسِي	وصارَ كلُّ الذِّكْرِ لِلْمُهَنْدِسِ
وهٰكذا الْعَهْدُ بِوُدِّ النَّاسِي	وقِيمَةُ الْمُحْسِنِ عِنْدَ النَّاسِ
وقد عَرَفْتَ حالتي وضِدَّها	فقُلْ لِمَنْ يَسْأَلُ عَنِّي بَعْدَها
إنْ خَفِيَ النَّافِعُ فالنَّفْعُ ظَهَرْ	يا سَعْدَ مَنْ صافَى وصُوفِي واسْتَتَرْ!

الأفعى النّيليّةُ والعقربةُ الهنديّة

وَهــذِهِ وَاقِـعَـةٌ مُـسْـتَـغْـرَبَـةْ ... في هَوَسِ الأفعَى وخُبْثِ العَقْرَبةْ
رَأَيتُ أفعَى من بناتِ النِّيلِ ... مُـعْـجَـبَـةٍ بِـقَـدِّهـا الـجـمـيـلِ
تحتَقِرُ النُّصحَ وتَجفُو النَّاصِحا ... وتَدَّعِي العقْلَ الكَبِيرَ الرَّاجِحا
عَـنَـتْ لـهـا رَبِيبَةُ السِّباخِ(١) ... تَـحْـمِـلُ وَزْنَـيْـهـا مِـنَ الأوساخِ
فحسِبَتْها والحِسابُ يُجْدِي ... ساحِرَةً مِنْ ساحِرَاتِ الْهِنْدِ
فانخَرَطَتْ مِثْلَ الحُسامِ الْوَالِجِ ... واندفَعَتْ تِلْكَ كسَهْمٍ زالِجِ
حتَّى إذا ما أبلَغَتْها جُحْرَها ... دارتْ عليه كالسِّوَارِ دَوْرَها
تقولُ يا أُمَّ الْعَمَى والطَّيْشِ ... أَيـنَ الْفِرَارُ يا عَدُوَّ العَيْشِ
إنْ تَلِجِى فالموتُ في الوُلوجِ(٢) ... أو تخْرُجي فالهُلْكُ في الخروجِ
فسكتَتْ طريدَةُ البُيُوتِ ... واغْتَرَّتِ الأفعَى بذا السكوتِ
وهجعَتْ على الطَّريقِ هجْعَةْ ... فخرجَتْ ضَرَّتُها بِسُرْعَةْ
ونَهَضَتْ في ذِرْوَةِ الدِّماغِ ... واسْتَرْسَلَتْ في مُؤلِمِ التِّلْدَاغِ(٣)
فانتَبَهَتْ كالحالِمِ المذعورِ ... تَصيحُ بالويلِ وبالثُّبُورِ
حتَّى وهَتْ من الفتاةِ القُوَّةْ ... فنزلَتْ عن رأسِها العدُوَّةْ
تقولُ صبراً للبَلاءِ صبرَا ... وإنْ وجَدْتِ قَسْوَةً فعُذرَا!
فرأسُكِ الدَّاءُ وذا الدواءُ ... وهكذا فلْتُرْكَبُ الأعْدَاءُ!
مَنْ مَلَكَ الْخَصْمَ ونامَ عنهُ ... يُصْبِحُ يَلقَى ما لقيتُ مِنهُ
لولا الذي أبصرَ أهلُ التَّجرِبَةْ ... مِنِّي لَمَا سَمّوا الخبيثَ عقرَبَةْ!

(١) السباخ: الأراضي الغير مفلوحة، أي الجرود والقفار وربية السباخ هنا هي العقربة.
(٢) الولوج: الدخول . (٣) التلداغ: اللسع والعقص.

٣

مَلِكُ الغربانِ وندورٌ الخادم

كانَ لِلغِرْبانِ في العَصْرِ مَلِيكْ ... ولَه في النَّخْلَةِ الكبْرى أرِيكْ
فيه كُرْسِيٌّ وُخِدْرٌ[1] ومُهُودْ ... لِصِغارِ المُلْكِ أصْحابِ العُهُودْ
جاءَهُ يوماً نُدُورُ الخادِمُ ... وَهُوَ في البابِ الأمِينُ الحازِمُ
قالَ يا فَرْعَ المُلوكِ الصّالِحِينْ ... أنْتَ ما زِلْتَ تُحِبُّ النّاصِحِينْ
سُوسَةٌ كانت على القَصْرِ تَدُورْ ... جازَتْ القصْرَ ودَبَّتْ في الجُذُورْ
فَبْعَثِ الغِرْبانَ في إهْلاكِها ... قبلَ أنْ نَهْلِكَ في أشْرَاكِها!
ضَحِكَ السُّلْطانُ من هذا المَقَالْ ... ثُمّ أدْنَى خادِمَ الخَيْرِ وقالْ:
أنا رَبُّ الشَّوْكَةِ الضّافي الجَناحْ ... أنا ذُو المِنْقارِ غَلاَّبُ الرِّياحْ
«أنا لا أنْظُرُ في هٰذِي الأمُورْ» ... أنا لا أُبْصِرُ تَحْتِي يا نُدُورْ!

* * *

ثُمّ لمّا كانَ عامٌ بعْدَ عامْ ... قامَ بينَ الرِّيحِ والنَّخْلِ خِصَامْ
وإذا النَّخْلَةُ أقْوَى جِذْعُها ... فَبَدَا لِلرِّيحِ سَهْلاً قَلْعُها
فَهَوَتْ لِلأرْضِ كالتَّلِّ الكَبِيرْ ... وهَوَى الدِّيوانُ وَنقَضَّ السَّرِيرْ
فدَهَا السُّلطانَ ذَا الخَطْبُ[2] المَهُولْ ... ودَعَا خادِمَهُ الغالِي يقُولْ:
يا نَدُورَ الخَيرِ أسْعِفْ بالصِّياحْ ... ما تَرَى ما فَعَلَتْ فِينا الرِّياحْ؟
قالَ: يا مَوْلايَ لا تَسْأَلْ نَدُور ... «أنا لا أنظُرُ في هٰذِي الأمورْ»!

---

(١) خدر: سرير.

(٢) الخطب: المصيبة والداهية.

الظّبي والعقدُ والخنزير

ظَبْيٌ رأى صُورَتَهُ في الماءِ ... فرفَعَ الرَّأسَ إلى السَّماءِ
وقالَ يا خالِقَ هذا الجِيدِ ... زِنْهُ بَعقْدِ اللؤْلُؤِ النَّضِيدِ
فَسمِعَ الماءَ يقولُ مُفْصِحاً ... طَلَبْتَ يا ذا الظّبْيُ ما لَنْ تُمْنَحَا
إنَّ الذي أعْطاكَ هذا الجِيْدا ... لم يُبْقِ في الحُسْنِ له مَزِيدَا
لو أنَّ حُسْنَه على النُّحُورِ ... لم يَخْرُجُ الدُّر مِنَ الْبُحُورِ
فافْتَتَن الظَّبْيُ بِذِي المَقَالِ ... وزادَهُ شَوْقاً إلى الْلآلِي
ولم يَنَلْهُ فَمُهُ السَّقِيمُ ... فعاشَ دَهْراً في الفَلا يَهيمُ
حتى تَقضَّى العُمْرُ في الهُيَامِ ... وهَجْرِ طِيبِ النومِ والطعامِ
فسارَ نحوَ الماءِ ذاتَ مَرَّةْ ... يَشكو إليه نَفْعَهُ وضُرَّهْ
وبينما الجارَانِ في الكلامِ ... أقْبَلَ رَاعِي الدَّيْر في الظلامِ
يَتْبَعُه حيثُ مَشى خِنْزيرُ ... في جِيدِهِ قِلادةٌ تنِيرُ
فاندَفَعَ الظّبْيُ لِذاكَ يَبْكِي ... وقال مِنْ بعدِ تُجلاءِ الشَّكُ
ما آفةُ السّعْيِ سِوَى الضلالِ ... ما آفةُ الْعُمْرِ سِوَى الآمالِ
لولا قضاءُ المَلِكِ القديرِ ... لما سَعَى العِقْدُ إلى الخِنْزيرِ!
فالْتَفَتَ الماءُ إلى الغزالِ ... وقال: حالُ الشَّيْخِ شَر حالِ
لا عَجَبٌ إنَّ السنينَ مُوقِظَةْ ... حَفِظْتَ عُمْراً لو حَفِظْتَ مَوْعِظَةْ!

وليّ عهد الأسد وخطبة الحمار

لـمَّـا دَعَـى داعِـي أبِـي الأشـبـالِ   مُـبَـشِّـراً بـأوّلِ الأنـجـالِ
سَـعَـتْ سِـبـاعُ الأرضِ والـسَّـمـاءِ   وَانْـعَـقَـدَ الـمـجـلِـسُ لـلـهَـنـاءِ
وصَــدّرَ الــمَــرْسُــومُ بــالأمــانِ   في الأرضِ لِلقَاصي بها والدّاني
فـضـاقَ بـالـذُّيُـولِ صَـحْـنُ الـدّارِ   من كلّ ذي صُوفٍ وذي مِنْقارِ[1]
حـتـى إذا سْـتـكـمَـلَـتِ الـجـمـعـيَّـةْ   نادَى مُنادِي اللّيْثِ في المَعِيَّةْ
هلْ مِن خَطيبٍ مُحسِنٍ خبيرِ   يَـدْعُـو بِطُولِ الْعُمْر لـلأمـيـرِ؟
فنَهَضَ الْفِيلُ المُشِيرُ السّامي   وقـالَ مـا يَـلـيـقُ بـالـمـقـام
ثـمَّ تَـلاهُ الـثّـعـلَـبُ الـسَّـفـيـرُ   يُنْشِدُ حتى قيلَ ذا جَريرُ[2]!
وانْـدَفَـعَ الـقِـرْد مُـدِيـرُ الْـكـاسِ   فـقـيـلَ أحْـسَـنْـتَ أبـا نُـوَاسِ!
وأوْمَـأ الْـحِـمـارُ بـالْـعَـقـيـرَةْ   يُـريـدُ أن يُـشَـرِّفَ الْـعَـشـيـرَةْ
فـقـال: بـاسْـمِ خـالِـقِ الـشَّـعـيـرِ   وباعِثِ العَصَا إلى الحميرِ! . . .
فـأزْعَـجَ الـصَّـوْتُ وَلِـيَّ الـعَـهْـدِ   فـمـاتَ مـن رِعْـدَتِـه فـي الـمَـهْـدِ
فـحـمـلَ الـقَـوْمُ عـلـى الـحِـمـارِ   بـحـمْـلَـةِ الأنـيـابِ والأظْـفـارِ
وَانْـتَـدَبَ الـثَّـعْـلَـبُ لِـلـتَّـأبِـيـنِ   فقالَ في التَّعْريضِ بالمِسْكينِ:
لا جَـعـلَ اللهُ لـه قَـرَاراً   عـاشَ حِـمـاراً ومـضـى حِـمـاراً!

---

(١) إشارة إلى الحيوانات والطيور.

(٢) جرير: الشاعر الأموي الشهير.

الأسدُ والثعلبُ والعجلُ

نظَرَ اللّيْثُ إلى عِجْلٍ سَمِينْ ... كانَ بالْقُرْبِ على غَيْطٍ أَمِينْ
فاشْتَهَتْ مِنْ لحمِه نفسُ الرّئيسْ ... وكذا الأنفُسُ يُصْبِيها(١) النَّفيسْ
قالَ لِلثّعْلَبِ يا ذا الأحتِيَالْ ... رَأسُكَ المحْبُوبُ أو ذَاكَ الْغَزَالْ!
فدعا بالسّعْدِ والْعُمْرِ الطّويلْ ... ومضَى في الحالِ للأمْرِ الجليلْ
وأتى الْغَيْطَ وقدْ جَنّ الظّلامْ ... فرَأى الْعِجْلَ فأهْدَاهُ السّلامْ
قائِلاً يأيها المَوْلَى الوَزِيرْ ... أنتَ أهْلُ العفْوِ والبِرّ الغَزيرْ
حَمَلَ الذّئبَ على قتْلي الْحَسَدْ ... فَوَشَى بي عِنْدَ مَوْلانا الأسَدْ
فترامَيْتُ على الجاهِ الرفيعْ ... وهْوَ فينا لم يزَلْ نِعْمَ الشّفِيعْ!
فبَكى المَغْرُورُ مِنْ حالِ الخبيثْ ... ودنا يَسْألُ عن شَرْحِ الْحَدِيثْ
قال: هلْ تَجْهَلُ يا حُلْوَ الصّفاتْ ... إنّ مولانا أبا الأفيَالِ ماتْ
فرأى السُّلطانُ في الرّأسِ الكَبِيرْ ... مَوطِنَ الْحِكمةِ والْحِذْقِ الكَثِيرْ
ورآكُمْ خَيْرَ مَنْ يَسْتَوْزِرُ ... ولأمْرِ الْمُلْكِ رُكْناً يُذْخَرُ
ولقَدْ عدُّوا لكُمْ بينَ الْجُدُودْ ... مِثْلَ آبِيسَ ومَعْبُودِ اليهودْ
فأقاموا لمعالِيكُمْ سَرِيرْ ... عنْ يمينِ الملِكِ السّامي الخطِيرْ
واسْتَعَدّ الطّيْرُ والوَحْشُ لِذَاكْ ... في انْتِظارِ السّيّدِ العالي هُناكْ
فإذا قمْتُمْ بأعْبَاءِ الأمورْ ... وانتَهَى الأنسُ إليْكم والسُّرُورْ
برّئُوني عندَ سُلطانِ الزمانْ ... وَاطْلبُوا لي العَفْوَ مِنهُ والأمانْ
وكفاكُمْ أنّني الْعَبْدُ المُطِيعْ ... أَخْدُمُ المُنعِمَ جهدَ المُستَطِيعْ
فأخَذَ الْعِجلُ قرنَيْهِ وقالْ ... أنتَ مُنذُ الْيَومِ جارِي لا تُنَالْ!

فامْضِ واكْشِفْ لي إلى اللّيثِ الطريقْ		أنا لا يَشْقَى لديْهِ بي رَفيقْ
فمَضى الخِلاّنِ تَوًّا لِفلاةْ		ذا إلى الموْتِ وهذا لِلحَيَاةْ
وهُناكَ ابتَلعَ اللّيْثُ الوَزيرْ		وحبَا الثّعلَبَ مِنه باليَسِيرْ
فانثنى يضحَكُ منْ طيشِ العُجُولْ		وجَرَى في حَلْبَةِ الفَخْرِ يقُولْ:
سَلِمَ الثّعْلَبُ بالرّأسِ الصّغيرْ		ففَداهُ كل ذي رأسٍ كَبيرْ!

الشاةُ والغرابُ

مَرَّ الْغُرابُ بِشاةٍ قدْ غابَ عنها الْفطِيمُ[1]
تقولُ والدَّمعُ جارٍ والقلْبُ مِنها كَلِيمُ[2]:
يا لَيتَ شِعْرِيَ يا بُني وواجِدِي، هلْ تَدُومُ
وهلْ تكونُ بِجَنْبِي غداً على ما أرُومُ
فقالَ يا أُمَّ سَعدٍ هٰذا عذابٌ ألِيمُ
فكَّرْتِ في الْغَدِ وَلِفِكْرُ مُقْعِدٌ ومُقِيمُ
لِكُلِّ يَوْمٍ خُطُوبٌ[3] تكْفِي، وشُغلٌ عظِيمُ
وبينَما هُوَ يهذِي أتى النَّعِيُّ الذَّمِيمُ
يقولُ خَلَّفْتُ سَعداً والعَظْمُ مِنْهُ هشِيمُ
رأى مِنَ الذِّئبِ ما قدْ رَأى أبُوه الكريمُ
فقالَ ذُو الْبَيْنِ لِلأُمِّ حيَنَ ولَّتْ تَهِيمُ
إنَّ الحكِيمَ نَبِيٌّ لِسانُه معصُومُ
ألمْ أقلْ لَكِ تَوًّا لِكلِّ يومٍ هُمُومُ
قالتْ صدَقْتَ ولٰكِنْ هٰذا الكلامُ قدِيمُ
فإن قَوْمِيَ قالوا: وَجْهُ الغرابِ مَشومُ!

---

(١) الفطيم: الإبن.
(٢) كليم: جريح.
(٣) خطوب: مصائب.

أمّةُ الأرانب والفيل

يَحْكُونَ أنَّ أُمَّةَ الأرَانِبِ — قد أخذَتْ مِنَ الثَّرَى بجَانِبِ
وَابتَهَجَتْ بالوَطَنِ الكريمِ — ومَوْئِلِ العِيالِ والحريمِ
فاختارَهُ الفيلُ لهُ طريقاً — مُمَزِّقاً أصحابَنا تمزيقا
وكان فيهِمْ أرْنَبٌ لبيبُ — أذهبَ جُلَّ صُوفِه التَّجريبُ
نادى بِهِمْ يا مَعْشَرَ الأرانِبِ — مِنْ عالِمٍ وشاعرٍ وكاتِبِ
اتَّحِدُوا ضِدَّ العَدُوِّ الجافي — فالاتِّحادُ قُوَّةُ الضِّعافِ
فأقبَلوا مُسْتَصْوِبِينَ رَايَهْ — وعقَدُوا لِلاجْتِماعِ رَايَهْ
وانتَخَبُوا من بينِهِمْ ثلاثَهْ — لا هَرَماً راعَوا ولا حَداثَهْ
بل نظروا إلى كمالِ العَقْلِ — واعتَبَرُوا في ذاكَ سِنَّ الفَضْلِ
فنَهَضَ الأوَّلُ لِلْخِطابِ — فقال إنَّ الرأيَ ذا الصوابِ...
... أنْ تُترَكَ الأرضُ لذي الخرطومِ[1] — كيْ نَستريحَ من أذى الغَشُومِ
فصاحَتِ الأرانِبُ الغَوالي: — هذا أضَرُّ من أبي الأهوالِ
ووثَبَ الثّاني فقالَ إني — أعْهَدُ في الثعلبِ شيْخَ الفَنِّ
فلْنَدْعُهُ يُمِدَّنا بحِكْمَتِه — ويأخُذ اثْنَيْنِ جَزاءَ خِدْمَتِهْ
فقيلَ لا يا صاحِبَ السُّمُوِّ — لا يُدْفَعُ العَدو بالعَدُوِّ
وَانتَدَبَ الثالثُ للكلامِ — فقالَ يا مَعاشِرَ الأقْوامِ
إجْتَمِعُوا فالاجْتِماعُ قُوَّةْ — ثمَّ احْفِرُوا على الطريقِ هُوَّةْ

(١) ذي الخرطوم: الفيل.

يَهْوِي إليها الفيلُ في مرورِه   فنَسْتَرِيحُ الدَّهْرَ من شُرورِه
ثمَّ يقولُ لَجيلُ بعدَ لَجيلِ   قد أكلَ الأرنبُ عقلَ الفيلِ!
فاسْتَصْوَبوا مَقالَه واستَحسَنُوا   وعمِلوا مِنْ فورِهِمْ فأَحْسَنوا
وهَلَكَ الفيلُ الرفيعُ الشَّانِ   فأَمْسَتِ الأمَّةُ في أمانِ
وأقْبَلتْ لِصاحِبِ التَّدْبيرِ   ساعيَةً بالتَّاجِ والسَّريرِ
فقالَ مَهْلاً يا بَني الأوطانِ   إنَّ محلِّي لَلْمَحَلُ الثاني
فصاحِبُ الصَّوْتِ القَويُّ الغالبِ   مَنْ قدْ دعا: «يا مَعْشَرَ الأرانِبِ»

حكايةُ الخفّاش ومليكة الفراش

مَـرَّتْ عـلـى الـخُـفَّـاشِ   مَـلِـيـكَـةُ الـفَـرَاشِ
تَـطِـيـرُ بـالْـجُـمُـوعِ   سَـعْـيـاً إلـى الـشُّـمُـوعِ
فَـعَـطَـفَـتْ ومَـالَـتْ   واسْـتَـضْـحَـكَـتْ فقَـالَـتْ:
أَزْرَيْـتَ بـالـغـرامِ   يـا عـاشِـقَ الـظـلامِ
صِفْ لي الصديقَ الأسْوَدَا   الـخـامِـلَ الْـمُـجَـرَّدَا[1]
قـالَ: سـأَلْـتِ فـيـهِ   أَصْـدَقَ واصِـفِـيـهِ
هُـو الـصَّـدِيـقُ الـوافـي   الـكـامِـلُ الأوصـافِ
جِـوَارُهُ أمـانُ   وسِـرُّهُ كِـتْـمـانُ
وطَـرْفُـه كَـلِـيـلُ   إذا هـفَـا الـخـلـيـلُ
يـحْـنُـو عـلـى الـعُـشَّـاقِ   يَـسْـمـعُ لِـلْـمُـشْـتَـاقِ
وجُـمْـلَـةُ الـمـقـالِ   هُـوَ الْـحَـبِـيـبُ الـغـالـي

* * *

فـقـالَـتِ الـحـمـقـاءُ   وقـوْلُـهَـا اسْـتِـهْـزَاءُ
أيْـنَ أبُـو الـمِـسْـكِ الْـخَـصِـي   ذُو الـثَّـمَـنِ الْـمُـسْـتَـرْخَـصِ[2]
مِـنْ صـاحِـبـي الأمـيـرِ   الـظـاهِـرِ الْـمُـنِـيـرِ[3]
إنْ عُـدَّ فـيـمَـنْ أَعْـرِفُ   أَسْـمُـو بِـهِ وأَشْـرُفُ

---

(١) تعني الليل، والخفاش لا يأنس إلا بالظلام.

(٢) أبو المسك الخصي: كافور الأخشيد، العبد الأسود الذي هجاه المتنبي.

(٣) تعني الضوء.

وإن سُئِلْتُ عَنْهُ وعن مكاني مِنهُ
أُفاخِرُ الأترَابا وأنْثَني إعجابَا

* * *

فقالَ يا مَليكَةْ وربَّةَ الأرِيكةْ
إنَّ مِنَ الغُرورِ مَلامَةَ المغْرُورِ
فأعطِني فَكاكِ وَمْضِي إلى الهلاكِ!

* * *

فترَكتْهُ ساخِرَةْ وذَهَبَتْ مُفاخِرَةْ
وبعد ساعةٍ مضَتْ مِنَ الزْمانِ فانقَضَتْ
مَرْتْ على الْخُفْاشِ مَليكَةُ الْفَرَاشِ
ناقصَةَ الأعْضَاءِ تشْكُو مِنَ الفناءِ
فجاءَها مُتَهَمِكا يُضْحِكهُ مِنها البُكا!
قال: ألَمْ أقلْ لكِ هَلَكْتِ أوْ لمْ تَهْلِكي
رُبَّ صديقٍ عَبْدِ أبْيَضُ وَجْهِ الْوُدّا!
يَفْدِيكِ كالرْئيسِ بالنَفْسِ والنفيسِ
وصاحِبٍ كالنُّورِ في الحُسْنِ والظهورِ
مُعْتَكِرُ الفؤادِ مُضَيَّعُ الْوِدَادِ
حِبَالُه أشْرَاكْ وقُرْبهُ هلاكْ!

الأسدُ ووزيرهُ الحمارُ

اللَّيثُ مَلِكُ القِفَارِ ... وما تَضُمُّ الصَّحَارِي
سَعَتْ إليهِ الرَّعايا ... يوماً بِكُلِّ انْكِسارِ
قالت: تَعيشُ وتَبْقَى ... يا دامِيَ الأظْفارِ
ماتَ الوزيرُ فَمَنْ ذا ... يَسُوسُ أَمْرَ الضَّوارِي؟
قالَ: الحِمَارُ وَزِيرِي ... قَضَى بِهذا اخْتِيارِي
فاسْتَضْحَكَتْ ثمَّ قالتْ: ... «ماذا رأى في الحِمارِ؟»
وخَلَّفَتْهُ وطارتْ ... بِمُضْحِكِ الأخْبارِ
حَتَّى إذا الشَّهْرُ وَلَّى ... كَلَيْلَةٍ أوْ نَهارِ
لمْ يَشْعُرِ اللَّيثُ إلا ... ومُلْكُهُ في دَمارِ
القِرْدُ عِنْدَ اليَمينِ ... والكَلْبُ عِنْدَ اليَسَارِ
والقِطُّ بَيْنَ يديْهِ ... يَلْهُو بِعَظْمَةِ فارِ!
فقالَ: مَنْ في جُدُودي ... مِثْلِي عَديمَ الوَقارِ!
أَيْنَ اقْتِدارِي وبَطْشِي ... وهَيْبَتِي وَاعْتِبارِي!
فجاءَهُ القِرْدُ سِرًّا ... وقالَ بعدَ اعْتِذارِ:
يا عالِيَ الجاهِ فِينَا ... كُنْ عالِيَ الأنْظارِ
رَأْيُ الرَّعِيَّةِ فِيكُمْ ... مِن رَأْيِكُمْ في الحِمارِ!

النّملةُ والمقطمُ

كانتِ النملةُ تمشي مَرّةً تحتَ المُقَطَّمْ[1]
فارْتخى مَفْصِلُها من هَيْبَةِ الطَّوْدِ المعَظَّمْ
وَتَنَشَّتْ تَنظرُ حتّى أوْجَدَ الخوفُ وأعْدَمْ
قالتِ: اليَوْمَ هَلاكِي حَلَّ يَومي وتحَتَّمْ!
لَيتَ شِعري كيفَ أنْجُو إنْ هَوَى هذا، وأَسْلَمْ؟
فسَعَتْ تجري وبَيْنَا هَا ترى الطَّوْدَ فتَنْدَمْ...
... سَقَطَتْ في شِبرِ ماءٍ هو عندَ النملِ كاليَمّ[2]
فبَكَتْ يَأساً وصاحَتْ قبلَ جَرْيِ الماءِ في الفَمّ
ثمّ قالت وهيَ أدْرَى بالذي قالتْ وأعْلَمْ:
لَيْتَني لمْ أتأخرْ لَيتني لمْ أتقدَّمْ
ليتني سَلَّمْتُ، فالعَا قِلُ مَنْ خافَ فَسلَّمْ!
صاحِ، لا تَخشَ عظيماً فالذي في الغَيْبِ أعظمْ

---

(١) المقطم: جبل المقطم

(٢) اليم: البحر.

الغزالُ والكلبُ

كان فيما مَضَى من الدَّهْرِ بَيتٌ مـن بُيُـوتِ الـكرام فـيـهِ غَـزالُ
يَطْعَمُ الْلوزَ والْفَطيرَ ويُسْقَى عَسَـلا لـمْ يَـشُـبْـهُ إلا الـزُّلالُ
فـأتـى الْـكـلْـبُ ذاتَ يـومٍ يُـنـاجِـيـهِ وفـي الـنَّـفْـسِ تَـرْحَـةٌ[1] ومَـلالُ
قالَ يا صاحِبَ الأمانةِ قُلْ لي كيفَ حالُ الْوَرَى وَكيفَ الرِّجالُ
فأجابَ الأمـينُ وَهْـوَ الـقَـئُولُ الـصَّـادِقُ الـكـامِلُ الـنُّهَى الـمِـفْـضَـالُ:
سائِلي عنْ حَقيقةِ النَّاسِ، عُذْراً لـيـس فـيـهِـم حَـقـيـقـةٌ فـتُـقـالُ
إنـمـا هُـمْ حِـقْـدٌ وغِـشٌّ وبُـغْـضٌ وأذاةٌ وغِـيْـبَـةٌ وَانْـتِـحـالُ
لَيْتَ شِعْري هل يَسْتريحُ فُؤادِي كَـمْ أُدَارِيـهُـمُ وكَـمْ أَحْـتَـالُ
فِرِضَا الْبَعْضُ فيه للبَعْضِ سُخْطٌ ورِضَـا الـكُـلِّ مَـطْـلَـبٌ لا يُـنَـالُ
ورِضَـا اللهِ نَـرْتَـجِـيـهِ ولَـكِـنْ لا يُـؤدِّي إلَـيْـهِ إلا الْـكـمَـالُ
لا يَغرَّنْكَ يا أخَا البِيدِ مِن مَوْ لاكَ ذاكَ الْـقَـبُـولُ والإقْـبـالُ
أَنْتَ في الأَسْرِ ما سَلِمْتَ فإنْ تَمْرَضْ تقَطَّعْ من جِسْمِكَ الأوْصالُ!
فاطْلُب البِيدِ وَرْضَ بالْعُشْبِ قُوتاً فـهُـنَـاكَ الـعَـيْـشُ الْـهَـنِـيُّ الـحـلالُ
أنـا لـولاَ الـعـظـامُ وَهْـيَ حَـيـاتـي لـمْ تَـطِبْ لـي مـع بْنِ آدَمَ حـالُ

---

(١) ترحة: حزن وغم.

١٣

الثّعلبُ والديكُ

بَرزَ الثَّعلَبُ يَوماً   في شِعارِ الواعِظينا
فَمَشى في الأرضِ يَهدِي   ويَسُبُّ الماكِرينا
ويَقولُ الحمدُ لله   إلهِ العالَمينا
يا عِبادَ اللهِ تُوبُوا   فهوَ كهفُ التّائبينا
وَازهَدُوا في الطّيرِ إنّ الـ   ـعَيشَ عَيشُ الزّاهِدينا
واطلُبُوا الدِّيكَ يُؤذِّنْ   لصَلاةِ الصُّبحِ فِينا
فأتَى الدِّيكَ رسولٌ   مِنْ إمامِ النّاسِكينا
عَرَضَ الأمرَ عليه   وَهوَ يرجُو أنْ يَلِينا
فأجابَ الدِّيكُ: عُذراً   يا أضَلَّ المُهتَدِينا!
بَلِّغِ الثَّعلَبَ عنّي   عن جُدودي الصّالِحِينا
عن ذَوِي التِّيجانِ مِمَّنْ   دَخَلَ البَطْنَ اللَّعِينا
أنهم قالوا وخَيرُ الـقَوْلِ قولُ العارِفينا:
«مُخطِئٌ مَنْ ظَنّ يَوماً   أنّ للثّعلَبِ دِينا!»

النعجة وأولادها

اسْمَعْ نفائِسَ ما يأْتيكَ مِنْ حِكَمي ... وَفهَمْهُ فَهْمَ لَبيبٍ ناقِدٍ وَاعِي
كانت على زَعْمِهِمْ فيما مَضى غَنَمٌ ... بأَرْضِ بَغدادَ يَرْعَى جَمْعَها راعِي
قَدْ نامَ عنها فنَامَتْ غيْرَ واحدةٍ ... لم يدْعُها في الدَّياجِي لِلكَرَى[1] دَاعِي
أُمُّ الفَطيمِ، وسعْدٍ، والفَتى عَلَف ... وَبنِ مُّهِ، وأخيه مُنْيةِ الرَّاعي
فبينَما هي تحتَ اللَّيْلِ ساهرةٌ ... تُخيِيهِ ما بين أَوْجالٍ[2] وأَوْجاعِ
بَدَا لها الذِّئبُ يَسْعَى في الظَّلامِ على ... بُعْدٍ فصاحتْ ألاَ قُومُوا إلى السّاعي!
فقامَ رَاعِي لَحِمْى المَرعِيِّ مُنْذَعِراً ... يقولُ أيْنَ كِلابي أين مِقْلاعي؟
وضاقَ بالذِّئبِ وَجْهُ الأرضِ من فَرَقٍ ... فانْسابَ فيه انْسِيابَ الظَّبْيِ في القَاعِ
فقالتِ الأمُّ يا لَلْفَخْرِ كانَ أبي ... حُرًّا وكان وَفِيًّا طائلَ البَاعِ
إذا الرعاةُ على أغنامِها سَهِرَتْ ... سَهِرْتُ من حُبِّ أطفالي على الرَّاعي!

(١) الكرى: النوم.

(٢) أوجال: جمع وجل: خوف.

فهرس المحتويات

مختارات معاصرة

من شعر أحمد شوقي